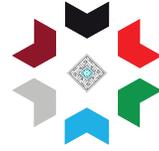




مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

تحولات المشهد الثقافي السعودي المعاصر قراءة أولى في السياسات الثقافية



مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

د. زيد علي الفضيل
يناير 2024

مدخل:

تمثل التحولات علامة فارقة في أي مشهد مجتمعي سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي وصولاً إلى الثقافي، وليس بالضرورة أن تكون سمة التحولات إيجابية، بل قد شهد عالمنا الحضاري العديد من التحولات الحادة على الصعيد السياسي والاقتصادي وصولاً إلى الثقافي، كما ليس الأمر مرتبطاً بزمن أو حقبة أو عصر معين، وإنما هو ممتد ومتكرر على مختلف الحقب والأزمان والعصور؛ كذلك يصعب فصل أحدها عن الآخر، فالتحول السياسي ينجم عنه تحولا اقتصاديا، وتنعكس ملامحه في السياق الثقافي، الذي يمتد بتأثيره إلى الجانب المجتمعي إن سلبا أو إيجاباً^(١)

ومع تولي الأمير محمد بن سلمان ولي العهد رئيس مجلس الوزراء دفعة القيادة في المملكة العربية السعودية برعاية من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، بدأت السعودية في خوض غمار تحولاتها الإيجابية الجديدة الممتدة من السياسي مروراً بالاقتصادي ووصولاً إلى الثقافي والمجتمعي. وصار واضحاً حجم التغيير الكبير الذي يعيشه الفرد والمجتمع السعودي على مختلف الأصعدة، وفي غضون خمس سنوات فقط.

ويمثل التحول في المشهد الثقافي السعودي أحد سمات التغيير اللافتة على الصعيد المحلي والإقليمي، بل والدولي، وكان واضحاً انعكاسه برؤاه وسماته التحديثية على المجتمع، كما ساهم في إحداث التغيير الذهني بين أفراد المجتمع السعودي الذي عاش حالة من الانغلاق خلال العقود الماضية جراء سيطرة مفاهيم التيارات الدينية الحركية المتشددة خلال ما يعرف اصطلاحاً بفترة «الصحو». على أن السؤال المحوري هو:

ما طبيعة هذه التحولات على الصعيد الثقافي؟ وما الأسس الفكرية الذي قامت عليه؟ وما الغاية التي تستهدفها خلال مسيرتها الحاضرة والمستقبلية؟ وما هي مرتكزات السياسة الثقافية الحالية لوزارة الثقافة؟ وأخيراً ما الذي يميز التحولات الثقافية القائمة حالياً برعاية من وزارة الثقافة السعودية بوجه خاص؟

مع إعلان المملكة العربية السعودية تأسيس وزارة مستقلة للثقافة في الـ ١٧ من شهر رمضان المبارك ١٤٣٩هـ الموافق ٢ يونيو ٢٠١٨م بدأ مشهد جديد في التشكل وفق رؤية مختلفة عما سبق سواء في ملامحها وهيئتها ونظرتها للمشهد الثقافي حاضرا ومستقبلا، حيث أرادت منذ الابتداء ومن خلال استراتيجيتها المعلنة أن توائم بين ارتباطها بالمشهد الثقافي العالمي مع الحفاظ على ملامح هويتها الوطنية، وهو ما عكسه شعارها المعلن «ثقافتنا هويتنا»؛ لأجل ذلك هدفت رؤية وزارة الثقافة التي ترأس دفتها الأمير بدر بن عبد الله بن فرحان آل سعود إلى إرساء الأطر الإستراتيجية اللازمة لعمل الوزارة والعمل على رسمها على أرض الواقع بأعلى المعايير ومقاييس الجودة، مع الاهتمام ببناء وتعزيز الشراكات الثقافية والأنشطة المشتركة مع الدول الأخرى، وتشجيع الشركاء كافة على بذل ما في وسعهم لإتاحة منتجاتهم الثقافية باللغة العربية الفصحى، وتمكين أكبر عدد من الأفراد للاستفادة من البرامج المقدمة، علاوة على تكريس حضور المملكة العربية السعودية في المحافل الثقافية العالمية، والترويج لمختلف الأعمال والإبداعات الفنية والثقافية السعودية.

مركزات السياسة الثقافية لوزارة الثقافة:

يعني مصطلح السياسات الثقافية: مجموعة القيم والمبادئ التي تُوجه المجتمع في شؤونه الثقافية، والتي تسهم في صناعة الإطار الثقافي العام للمجتمع، وتعمل على الحفاظ على تماسكه، وتعد السياسات الثقافية من واجبات الدولة التي تمثل المنشئ والمطبق لتلك السياسات، مع عدم إغفال دور منظمات المجتمع المدني، والمؤسسات التعليمية، ووسائل الإعلام، والقوى الاجتماعية المؤثرة في تشكيل وتكوين السياسات الثقافية لأي دولة^(١)

وفي هذا السياق فقد استهدفت الوزارة في خطتها الرئيسية جعل الثقافة نمط حياة رئيس لأفراد المجتمع، وعملت على جعلها ركيزة من ركائز الاقتصاد الوطني، وتضمنت رؤية وزارة الثقافة ستة محاور عمل رئيسية تتمثل في: (٣)

(١) قيادة القطاع الثقافي السعودي وبناء الأطر التنظيمية والتشريعية المناسبة والفعالة.

(٢) تطوير البيئة الثقافية.

(٣) دعم الجهات الفاعلة لتكون أكثر قدرة على المشاركة الفعالة في تنمية القطاع الثقافي.

(٤) العمل على تعزيز التبادل الثقافي العالمي.

(٥) تقدير المواهب ورعايتها.

(٦) حفظ التراث والثقافة السعودية.

وانطلاقاً من ذلك، ورغبة في تمثيل الثقافة بأوسع نطاقها، فقد اعتمدت وزارة الثقافة السعودية التعريف الأممي للثقافة الصادر عن المنظمة العالمية للثقافة والعلوم «اليونسكو unesco» كتعريف رسمي لمشروعها ونطاق عملها، وينص التعريف الذي اشتهر باسم إعلان مكسيكو للثقافة والذي أقر في عام ١٩٨٢م بأن الثقافة هي:

«جميع السمات الروحية والمادية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، والحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم، والمعتقدات، والتقاليد»^(٤)

وهكذا وانطلاقاً من هذا التعريف الواسع بدأت ملامح المشهد الثقافي في التكون عبر تأسيس وزارة الثقافة لأحد عشر هيئة متنوعة في مجالها، ومتخصصة في محتواها، تسهم جميعها في برنامج التحول الطموح وفقاً لرؤية ٢٠٣٠ المعلنة، وتتنوع الهيئات على النحو التالي

(١) هيئة الأدب والنشر والترجمة.

(٢) هيئة المسرح والفنون الأدائية.

(٣) هيئة التراث (المادي وغير مادي).

(٤) هيئة المكتبات.

(٥) هيئة المتاحف.

(٦) هيئة الفنون البصرية.

(٧) هيئة الموسيقى.

(٨) هيئة الأفلام.

(٩) هيئة فنون العمارة والتصميم.

(٠١) هيئة الأزياء.

(١١) هيئة فنون الطهي.

كما تهتم جميع الهيئات المنشأة بتحقيق الأهداف الرئيسية المتمثلة في:

(١) تعزيز الثقافة كأسلوب حياة.

(٢) تمكين الثقافة من المساهمة في النمو الاقتصادي.

(٣) خلق فرص للتبادل الثقافي العالمي.

نظرة استقرائية:

وبنظرة متأملة لمحاو عمل وزارة الثقافة الرئيسة والتي يأتي على رأسها قيادة القطاع الثقافي السعودي وبناء الأطر التنظيمية والتشريعية المناسبة والفعالة، وهو هدف غائي مهم، يبرز استفهام محوري وهو:

هل ما ستقوم به الوزارة في عهدها الجديد المستقل سيكون استتبعا لما قامت به الوزارة حال تأسيسها الأول عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م وضمها رسميا لوزارة الإعلام، ليصبح اسمها الرسمي «وزارة الثقافة والإعلام»؟ أم أنها ستبدأ من جديد وتنشئ محتوى تنظيميا وتشريعيا آخر؟ كذلك ما الدور المناط بالمتقنين للمشاركة في صناعة الأفكار الرئيسة لهذه التشريعات، والتي من شأنها أن تضمن وجود مساحة واسعة من الاستقلال الضامن للحياة الثقافية؟

كما ركز المحور الثاني في الرؤية المعلنة لوزارة الثقافة في ثوبها الجديد على فكرة تطوير البيئة الثقافية، وهو أمر واسع المعنى والمسار، ومع ذلك فيمكن رؤية ملامحه الجديدة التي حتما باتت أفضل من ذي قبل بكثير، بسبب حالة الانفتاح والانعقاد من الرؤية الدينية المتشددة والتي كان لها دور سلبي في إعاقة المشهد الثقافي والتضييق على مسارات تطوير البيئة الثقافية فيما مضى، ولذلك فيحسب لوزارة الثقافة في عهدها الجديد اهتمامها بهذا الإجراء، الذي من شأنه أن يزيد من قوة المشهد الثقافي وتفاعل المجتمع مع مختلف فعالياته.

وأخيراً فقد جاء محور حفظ التراث والثقافة السعودية في مكانه الصحيح، ليكمل حلقة الثقافة بصورة منهجية، ويُعيد للمجتمع انتماء الحضاري بشكل صحيح، والمرجو أن يتم ذلك وفق أسسه المنهجية كما هو معمول به اليوم في منطقة العلا التاريخية، مع الإشارة إلى أن السعودية غنية بتنوعها الفريد

سواء في إطار التراث غير المادي والذي يندرج تحت لوائه: الرقصات الشعبية، والأهازيج، والحكايات الشعبية، علاوة على العادات والتقاليد، وغيرها. أو التراث المادي (الأثار) حيث تزخر المملكة العربية السعودية بكثير من المواقع الممتدة بتاريخها منذ ما قبل التاريخ، مروراً بالقرون التاريخية ابتداء بالألف الثالث قبل الميلاد، ووصولاً إلى الأثار الإسلامية الغزيرة، وعلى رأسها الأثار النبوية.

في جانب آخر، فقد دلت عناوين وتخصصات هيئات وزارة الثقافة على حالة البعد الشمولي في ذهن المُشرع التنظيمي، وأبانت بأن فهما واسعا للثقافة أريد له أن يكون حاضرا في الوجدان والذهن المجتمعي. ذلك أن الثقافة قد تم حصرها سابقا في مختلف الجوانب المعرفية والفنون المختلفة وحسب، لكنها اليوم صارت أكبر مساحة وأوسع معنى، لاسيما مع إضافة هيئة فنون الطهي والأزياء وفنون العمارة والتصميم، والتي لم تكن ضمن الوعي الجمعي لمفهوم الثقافة من قبل.

وإذا كان بعض الهيئات قد لامس الشق المعرفي بشكل مباشر كما هو الحال مع هيئة الأدب والنشر والترجمة، وهيئة المسرح والفنون الأدائية، وهيئة الفنون البصرية من رسم وتشكيل وتصوير ضوئي وزخرفة وخط عربي، علاوة على ما يمكن أن يلمسه المثقف في هيئة الموسيقى، وكذلك الحال في هيئة التراث التي تعنى بالتراث المادي من أثار ولقى حجرية وفخارية وأعمال ملموسة، وتراث غير مادي من حكايات وأهازيج وفنون شعبية وغيرها، فإن البعض الآخر قد نحى صوب الجوانب التقنية الفنية كما هو الحال مع هيئة المكتبات، وهيئة المتاحف، وهيئة الأفلام، التي جميعها تهتم بتنمية الجوانب الفنية التي من شأنها تجويد صناعة المنتج سواء كان مكتبة أو متحفا أو فيلما سينمائيا. وحتما فكل ذلك يصب في توسيع دائرة الفهم لمصطلح ثقافة في الوعي الجمعي بوجه عام، والمهم أنه سيعالج كثيرا من التحديات التي تواجه الثقافة مستقبلا في حال بنائها بالشكل الصحيح

التحدي:

لقد عاش المشهد الثقافي السعودي طوال العقود السالفة كثيرا من التحديات التي أعاقته مسيرته، وحدت من بلوغ مثقفيه المكانة التي يجب أن يكونوا فيها وفقا لعمق تجربتهم الزمنية التي وضحت ملامحها منذ أوائل العشرينات من القرن الماضي، والتي أثمرت عن كثافة في المخرجات الثقافية القيمة، بالرغم من مختلف المعوقات التي واجهوها لاسيما على صعيد الرأي الديني المتشدد الذي فرض عليهم العزلة والكمون في بعض الفترات الزمنية. وكان من جراء ذلك أن عاش جانباً من أبناء المجتمع الثقافي حالة من القصور المعرفي والرتابة الفكرية من جهة، وضيق في مساحة الحرية وصغر حيز الحركة التأملية عند عدد من متعاطيه من جهة أخرى، كما غرق مشهدهنا الثقافي في فترة سابقة في نقاشات محمومة عفا عليها الدهر في عدد من الدول المجاورة منذ منتصف القرن العشرين على أقل تقدير، غير أنها ولسوء الحظ قد استمرت حاضرة وبقوة في مشهدهنا حتى خمس سنوات سالفة فقط،

حيث تلاشت كلمح البصر، واختفت من المشهد مع شروق شمس التغيير بتولي صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان ولاية العهد ورئاسة مجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية بمجلس الوزراء وصولاً إلى رئاسته لمجلس الوزراء حالياً

التحدي الأيديولوجي:

وحتما فإن تحدياً كبيراً يواجه أي مشروع ثقافي يتمثل في مدى القدرة على تجاوز ظاهرة سيطرة التوجه الأيديولوجي على العقل الجمعي، سواء في شقه الحزبي السياسي أو الديني المذهبي، وإتاحة مساحة واسعة لنماء مفهوم الحرية الفكرية ليتمكن الفكر والإبداع من التألق بالصورة الصحيحة، وبالتالي ازدهار أفاق وملامح المشهد الثقافي في مختلف مجالات الأنثروبولوجي، والفنون الفلسفية، والأعمال الإبداعية من مسرح ورواية وموسيقى إلى غير ذلك، كما هو الحال مع حركة النهضة الغربية، التي سمحت لعلماء عصر الأنوار التفكير والتأليف والإبداع بحرية تامة، وكما كان الحال في عصر النهضة العربية الإسلامية خلال القرن الثالث الهجري، حين أصبحت أفاق المدرسة العقلية هي المحرك لزام الحركة العلمية بما تتميز به من رحابة فكرية حين مناقشة الموروث بمختلف أشكاله، وهو ما يرجوه كل مثقف سعودي تنويري بحسب تعريف الفيلسوف الإيطالي غرامشي Garamshi، الذي قسم المثقفين إلى قسمين: أحدهما تقليدي مرتبط بالموروث مقيد بحبائله، والآخر تنويري يسهم بنقده وتحرره من قيود الموروث الفكري في تهيئة وتعبئة المجموعات الاجتماعية الصاعدة وبلورة مطامحها وأهدافها (٥).

وعلى اعتبار أن التوجه الأيديولوجي الديني كان هو السائد بين أطراف المجتمع فقد كان له التأثير الأكبر على طبيعة حركية وتفاعل المشهد الثقافي المحلي، حيث ونتيجة للطبيعة التقليدية المشكّلة لتكوين ذهنية بعض علماء وطلبة العلم في مجتمعنا، المؤمنة باكتنازها لمفاصل الحقيقة الربانية وفق اجتهادها ونظرها، الرافعة نبرة صوتها بشكل حجب عنها سماع غيرها من الأصوات الدينية الأخرى المعتدلة في رأيها الشرعي ومنطلقها الفكري، فقد أدى ذلك إلى ضمور نمو وتيرة الحراك الثقافي بشكل عام، حيث تم حجب عدد من رموز الحركة الثقافية العربية المعاصرة بحجة خروجهم عن الدين وفق منظور أولئك المتدينين (نصر حامد أبو زيد نموذجاً)، كما جعل عديداً من مؤيدي الحركة الثقافية التنويرية يُحجمون عن إبداء كثير من آرائهم خشية الوقوع في شرك المحاكمات الفكرية من قبل سلطة الولي الوصي. والأدهى حين مارس هذه الولاية والوصاية الفكرية أشخاص محدودي العلم والمعرفة الشرعية، لمجرد أنهم قد أمّوا ببعض أبجديات العلم الشرعي، أو سمعوا قولاً عاماً من عالم شرعي يحتمل الكثير من التفصيل، فحملوه على وجه واحد، هو الذي تناسب مع فهمهم وقصدوا تطبيقه

على أن الحجب لم يقتصر على أولئك الذين أثروا السلامة والبعد عن محاكم التفتيش، بل تعدى ليصل إلى محاصرة الفضاءات الفكرية التي توجّه إليها المثقف المتحرر من قيد التيار الأيديولوجي الصارم، فكتب قليل منهم باسمه الصريح، وأكثرهم باسم مستعار، وفي ذلك شكل من أشكال الحجب التي احتمى بها المثقف في حينه^(١).

وفي هذا نشر الكاتب ناصر الصرامي في جريدة الرياض مقالا في عام ٢٠٠٣م يعكس ما نشير إليه بوضوح حيث قال: «حضرنا إلى عالم الانترنت والمنتديات بتجربة أقل من مستويات الضعف في الحوار مع الآخر، وبعد سنوات من التلقين المطلق والاتباع دون أن نشعر برغبة في التفكير، ... حين انفتح الفضاء أقبلت الشبكة العالمية، بدأ البعض في الانفجار خلف أسماء مستعارة تحفظ للنفاق الاجتماعي البعض من ملامحه، لكن حين يكون الموعد مع الكيبورد ولوحة المفاتيح تختلف الصورة، تتناقض تماما في ثورة حوار عنيفة اقرب إلى التصادم، التصادم مع كل شيء دون قيود، أو التصادم مع كل القيود، أو التصادم لمنع أي انفلات من أي قيد، وفي كل الحالات ظل ايقاع الكلمات عنيفا جدا^(٢)»

أشير إلى أن المنتديات الإلكترونية في السعودية ومع ابتداء العقد الأول من الألفية الجديدة، قد حظيت بتفاعل واسع من مختلف التيارات الفكرية المحافظة والتنويرية على حد سواء، وصارت بمثابة المساحة المفتوحة للحوار الثقافي الجاد والصادم أيضا، وكان لها الدور في إحداث أشكال متنوعة من التغيير في المشهد.

وبرز عديد منها كمنتدى الساحات، وطوى، والشبكة الليبرالية، وندوة إيلاف، والإقلاع، وغيرها، التي كانت تطرح مواضيع وحوارات فكرية بأسماء حقيقية أو وهمية، وأخذت تستفيد من المساحة الفضائية المتاحة لها بمناقشة عديد من القضايا الفكرية والدينية منها على وجه الخصوص، بحرية فكرية بعيدا عن أعين ومقص الرقيب الديني؛ ومع ذلك فقد تعرضت تلك المنتديات للحرب الإلكترونية كالقيام «بتهكير الموقع، أو تشكيل فرق مهاجمة إلكترونية، إضافة إلى محاولة حجب المنتدى عن المستخدم السعودي منذ أشهره الأولى^(٣)».

على أن تلك المنتديات وإن كانت قد ساهمت في رسم خارطة العقل السعودي في فترة ماضية، إلا أنها قد جذرت طبيعة الخلاف الفكري بين التيار الإسلاموي بمختلف أشكاله، والتيار الحدائي التنويري بمختلف أصنافه، وصارت في عديد من مفاصلها مساحة لكيال التهم والفجور في الخصومة، لاسيما من تلك الأسماء الوهمية والتي تخفي هويتها الحقيقية وبالتالي أهدافها الغائية^(٤).

في جانب آخر فقد تزامن مع تلك المنتديات الإلكترونية بروز ظاهرة أخرى وهي المنتديات الثقافية الحضورية، أو ما يعرف بالمجالس الثقافية، والتي ظهرت بواكيرها في نهاية النصف الأول من القرن العشرين، وتبلورت ضمن سياق معرفي في الثلث الأخير من القرن العشرين، حيث برزت عديد منها كواجهات معرفية مؤثرة في السياق المعرفي العام، نتيجة لما تملكه من خلفية فكرية سواء كانت في الإطار القومي العربي أو الوطني، أو في الإطار الفكري التنويري المواجه للتوجه التقليدي سواء في إطاره الثقافي أو الديني^(١٠).

وتعد ضحوية المؤرخ والبلداني والنسابة والصحافي الشيخ حمد الجاسر بمدينة الرياض، والتي تقام في دارته التي أطلق عليها اسم «دائرة العرب»، ضحى كل يوم خميس من كل أسبوع، من أهم المنتديات الثقافية التنويرية المتحررة من قيد الأيديولوجيا، وفتنة التعصب الطائفي والمناطقية، وتهمة الانحياز العلمي صوب رأي واحد، حيث كان يجتمع في ثناياها نخبة من رجال الفكر والمعرفة، بمعية مجموعة من رجال الدولة وكبارها المؤثرين، ويخوضوا نقاشا مفتوحا في عديد من القضايا التاريخية والجغرافية والدينية، بعقل مفتوح، وذهن منهجي^(١١).

كما تمثل أحذية الدكتور الفيزيائي والأديب راشد المبارك بمدينة الرياض، والتي كانت تقام مساء كل أحد من كل أسبوع في دارته، أحد تلك المنتديات التنويرية المهمة التي ناقشت عديدا من القضايا الفكرية بصدر رحب، وسمحت للأخر أن يقول رأيه ويطرح فكرته بحرية واسعة، فكان حضور التيار التنويري فيها كثيفا، كما تواجد فيها الرأي المناهض للمنهج الحنبلي والذي قدم عديدا من الأطروحات المهمة كورقة الشيخ حسن بن فرحان المالكي «قراءة في كتب العقائد: المذهب الحنبلي نموذجا»، علاوة على استضافتها في منتصف التسعينات من القرن الماضي لعلماء من المذهب الشيعي، وكان ذلك من قبل مستحيلا، وممن تم استضافتهم الشيخ حسن الصفار وآخرين^(١٢).

وفي مدينة جدة وضح تأثير مجلس الثلوثية والتي تعقد مساء كل ثلاثاء من كل أسبوع لصاحبها الكاتب محمد سعيد طيب كأحد المنتديات المهمة التي استضافت عددا كبيرا من التنويريين من التيار القومي العربي، ومن المجتمع الليبرالي، كما مثلت أحد نقاط الاتصال بين عدد من رجال الدولة الوزراء من أصحاب السمو الملكي وغيرهم والمجتمع التنويري في حينه^(١٤).

هذه المجالس وغيرها كديوانية الملتقى الثقافي بالقطيف للكاتب نجيب الخنيزي، وكذلك منتدى الثلاثاء الثقافي بالقطيف للكاتب جعفر الشايب، قد ساهمت في إحداث حالة من التحول الفكري، وعملت على تنفيذ ما يجول في ذهن من أفكار ورؤى ضمن إطار النخبة السعودية، ووافق ذلك انفتاحا

رسمياً وتوجها صوب التحديث والتنوير بقيادة الملك عبد الله بن عبد العزيز في حينه، والذي استفاد من تبعات أحداث ١١/٩ ليحد من نشاط التيار السلفي الحركي والذي تمثل في جماعة السروريين والإخوان المسلمين السعوديين، ويدفع صوب الحوار الطائفي ضمن المجتمع السعودي، فكان ولأول مرة أن اجتمع شخصيتين إسلاميتين وهما الدكتور الشيخ سلمان العودة من الجانب السني، كما هو أحد أبرز رموز التيار الحركي السلفي السروري، مع أحد أبرز الشخصيات الشيعية بالقطيف وهو الشيخ حسن الصفار، وكان من جراء ذلك أن تتابعت لقاءات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الذي أخذ على عاتقه تقليص الفجوة بين التيارات الفكرية في المجتمع السعودي، سواء كانت دينية في إطارها السني أو الشيعي، أو فكرية في إطارها الصوفي والسلفية الحركية علاوة على التيارات التنويرية الأخرى من ليبراليين وقوميين وأطياف أخرى^(١٥).

وكان ابتداء اجتماعهم الموسع في مؤتمر مكة المكرمة لمناقشة الغلو عام ٢٠٠٢م، ولأول مرة يجتمع الصوفي والشيعي والقومي والليبرالي علاوة على السلفي تحت قبة واحدة لمناقشة أمر مهم وله تبعاته، وكان واضحاً تقارب جميع التيارات ودخولها في حوارات هادئة دوناً عن التيار السلفي، الذي نأى بنفسه عنهم، وأخذ جانبا حادا في خطابه، ولاسيما ضد المرأة التي تم تمثيلها بشكل جزئي، وهو ما وجه السلفيون جام غضبهم عليه، مما جعلهم يعملون إلى تحويل هدف الاجتماعات من بعد مؤتمر المدينة المنورة في السنة التالية، لتخرج الملتقيات عن هدفها الرئيسي، وتتحول إلى مناقشة قضايا خدمتية أكثر من القضايا الفكرية^(١٦).

وعلى الرغم من ذلك فقد ساهم مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في تعزيز جانب اللقاء والتعارف والحوار البيني بين الطيف السني إجمالاً والطيف الشيعي، لا سيما وأن القطيعة والشك كان هو الحاكم للعلاقة بينهما من بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران وتفجر الحرب العراقية الإيرانية، والتي عمد النظام العراقي في حينه إلى بروزة نفسه باعتباره مدافعا عن العرب من الغزو الفارسي، وهو ما جرى تداوله على الصعيد القومي والصعيد الديني، وأخذ التيار السلفي موقع رأس الحربة فيه عبر خطاب ديني متشدد، أثمر عن نشر كتب إحسان إلهي ظهير وغيره المعادية للتشيع، ولعل أكثر العناوين بروزاً في حينه كان كتاب «وجاء دور المجوس»^(١٧).

واقع الخليج الثقافي:

في هذا السياق فقد ساهم غياب التوجه الأيديولوجي الديني في عدد من بلدان الخليج العربي في أن تصبح قبلة للكثير من رموز حركة النهضة العربية منذ مرحلة مبكرة، وأدى إلى تدفق كثير من الكتب الفكرية، والمجلات الأدبية والعلمية، وتطور مختلف الجوانب الثقافية والفعاليات الفنية المصاحبة من مسرح وفنون متنوعة.

وكان أن تشجع العديد من الأدباء والمثقفين في الكويت والبحرين وصولا إلى قطر والإمارات، على تأسيس مؤسساتهم المعرفية الأهلية، التي كان لها الدور الكبير في تنشيط عملية الحراك الثقافي، في حين عانى المشهد الثقافي السعودي في فترات سالفة من غياب التشريع القانوني الذي يسمح بتأسيس عديد من المؤسسات والدور الثقافية، التي حتما كان سيكون لها أكبر الأثر على نمو وتيرة الحراك الثقافي ضمن إطار المجتمع السعودي، وكان سيعزز من رسوخ ما نصبو إليه من قيام مجتمع مدني حضاري، يعيش فيه الإنسان بكامل حرته وفق ما هو معتمد من أنظمة وقوانين، ويساهم فيه الفرد في عملية البناء والتنمية المطلوبين لولوج عوالم الألفية الثالثة بكل قوة واقتدار

تحدي الرقابة:

في هذا السياق يصعب إغفال أثر الرقابة السليبي على نمو وتيرة الحراك الثقافي ضمن مفهوم التوجه الأيديولوجي السابق، حيث لا يخفى مقدار حجم الضرر الفكري والمعنوي جراء فرض وزارة الإعلام للعديد من القيود في الإطار الفكري والفلسفي وصولا إلى الأدبي حين إصدار أو فسخ عدد من الكتب الفكرية والثقافية، في الوقت الذي يعيش فيه المجتمع حالة انفتاح مهولة عبر فضاءات الشبكة العنكبوتية، ومسارات الأقمار الصناعية، ناهيك عن تأثير ابتعائهم الدراسي للخارج، وتماسهم مع المتغير الثقافي والفكري بكل تجلياته، ودون وصاية أو رقيب، وحتما فيحسب لوزارة الثقافة حال تأسيسها وضمها مع وزارة الإعلام، وابتداء تنظيمها لمعارض الكتاب الدولي في الرياض ثم في جدة، أن أسست لنظام رقابي يسمح بدخول كثير من الكتب الفكرية والأدبية الغير مسموح بها في السياق العام، بصورة مؤقتة ليتم عرضها وبيعها فقط في أروقة المعرض الدولي للكتاب.

تحدي وضوح الرؤيا الاستراتيجية:

على أن التحدي الأكبر يكمن في مدى وضوح الرؤيا الاستراتيجية للمشروع الثقافي، إذ إن أي مشروع ثقافي جاد ومتجدد يحتاج لبلوغ غايته إلى وضوح رؤيته الاستراتيجية، بمعنى أن تكون الأهداف الغائية لحركة التفاعل الثقافي واضحة في ذهن المُشْرِع الثقافي سواء في شكله الرسمي أو الأهلي، وهو ما وضح جليا في العديد من المشاريع الثقافية الإقليمية، وأخص بالذكر منها المشهد الثقافي الكويتي سابقا، الذي عمل على خدمة أهدافه الغائية بكل سلاسة فكرية، فكان أن تنامت لديهم وتيرة الحراك الثقافي في مختلف صورها المتنوعة من أدب ومسرح وفنون بصرية وسمعية عبر التفوق السينمائي والتلفزيوني والإذاعي والموسيقي، وانعكست بشكل إيجابي على الصعيد الداخلي عبر تنمية مختلف القدرات الشبابية والإبداعية، وعلى الصعيد الإقليمي والدولي عبر المنافسة البارزة في مختلف المجالات الثقافية المتنوعة؛ وفي سياقها ازدهرت البحرين بنشاطها الثقافي البارز الذي وضح في عديد المناشط المتنوعة من مسرح وتلفزيون وأدب ومعرفة شاملة.

وعلى غرار الكويت والبحرين أخذت دولة الإمارات العربية المتحدة ممثلة بإمارة الشارقة وأبوظبي تخطُ طريقها في بناء مشروعها الثقافي الخاص، الذي حقق لها أهدافها الغائية من الانتشار الإعلامي المطلوب، كما هو ملاحظ في العديد من البرامج الثقافية المتنوعة، التي يعد من أبرزها برنامج «أمير الشعراء»، و«شاعر المليون»، علاوة على النشاط الثقافي المميز بالشارقة والذي شمل مختلف الفنون والمعارف

والحال كذلك في دولة قطر حيث تميزت الدوحة وبخاصة منذ منتصف التسعينات بوضوح مشروعها الثقافي الذي برزت فيه المرأة كنموذج ثقافي مميز من واقع شخصية الشيخة موزة المسند ورئاستها لمؤسسة قطر الخيرية ذات الصبغة الثقافية والتعليمية، والتي ساهمت في تحقيق الأهداف الغائية من مشروع التحديث الثقافي بالدولة، فكان إنشاء المتحف الإسلامي بما يحتويه من نفائس الحضارة الإسلامية وكنوزها منذ أبكر العصور التاريخية وحتى اليوم؛ والحي الثقافي «كاتارا» المستمد هويته من عمقه الفينيقي إلى واقعه العربي المعاصر، إلى غير ذلك من الإنشاءات المتميزة.

والسؤال: هل استهدفت الخطة الاستراتيجية الثقافية السعودية المعلن عنها هذا الوضوح الغائي في تفاصيلها، لاسيما مع توسع نطاقها وتنوع أهدافها؟ وهل تجاوزت مجمل التحديات السالفة في إطار عملها اليوم؟

الاستجابة:

بحسب نظرية «التحدي والاستجابة» للمؤرخ والفيلسوف البريطاني أرنولد توينبي ١٨٨٩ - ١٩٧٥ م فإن التحدي هو نقطة البدء في عملية التحول الحضاري، وبالتالي فالفرد والمجتمع الذي يتعرض لصدمة قد يفقد توازنه لفترةٍ ما، ثم يستجيب لها بنوعين من الاستجابة، أحدها تكون سلبية فيعمد للنكوص إلى الماضي فيستعيده ويتمسك به تعويضاً عن واقعه السيء، ومع مرور الزمن يتحول إلى إنسان ومجتمع منطوي على ذاته؛ وثانيها أن تكون استجابته إيجابية فيقبل الصدمة ويعترف بها، ثم يعمل على مقاومتها والتغلب عليها.

وفقاً لذلك فقد تراوحت استجابة المثقف السعودي في العقود السالفة لحالة التحدي الذي واجهه بين حالتين، أحدهما تمثل في حالة التماهي مع سياق الطرح الديني والفكري وبالتالي الثقافي الذي فرضته «الصحة»، وانتقل إلى خانة الدفاع عن تلك الأفكار والتبرير لمختلف القيود المفروضة، بل وتقدم بعضهم خطوات لإضفاء الشرعية عليها من خلال إصدار العديد من المجالات والصفحات الدينية، وعبر عديد من القنوات الفضائية والإذاعات الدينية، التي تعكس وجهة النظر المحافظة بوجه عام

في حين أبدى الفريق الآخر موقفاً مناهضاً لقرارات الحالة الدينية السائدة، فكان أن عمل على إبداء رأيه بشكل دائم، وبالسبل الممكنة، واهتم ببحث أفكاره التنويرية عبر طباعة الكتب كما هو الحال مع كتاب الأديب محمد حسن عواد «خواطر مصرحة» الذي طبع عام ١٩٢٥م، وبحث فيه أفكاراً تقدمية أثارت حنق الشارع عليه؛ كذلك من خلال الصفحات الثقافية التي كتب فيها كثير من المثقفين التنويريين، وعبر البرامج المتاحة في القنوات المرئية والمسموعة؛ وقد حرص هؤلاء على إعادة إحياء التراث الثقافي العقلي، والاعتناء باللغة ونشر المعاجم والموسوعات الفكرية والعلمية، والاهتمام بتأسيس المدارس الحديثة، وإنشاء النوادي الأدبية الثقافية التي ساهمت في بناء قاعدة ثقافية متينة وفق معطياتها وقدرتها

وبالرغم من هذا التجاذب إلا أن شكلاً محدداً من الخطاب الثقافي وبخاصة في سياقه التقليدي قد سيطر على ملامح المشهد في فترة سابقة، كما كانت الغلبة القسرية في الإطار الديني لرأي واحد أيضاً، مما أفقد الساحة الثقافية حيويتها بوجه عام، وكان ذلك ظاهراً على النسق الإبداعي الذي مال إلى الرتابة والصناعة، باستثناء مجموعة محدودة من المبدعين الذين شكلوا المنصة الأولى للريادة الثقافية في القرن العشرين، كمحمد حسن عواد، وحمزة شحاتة، وأحمد قنديل، ومحمود عارف، وحسين سرحان، ومحمد حسن فقي، وغيرهم في الإطار الأدبي؛ وأحمد السباعي، ومحمد حسين زيدان، وأحمد عبد الغفور عطار، وعبد الحى كمال، ومحمد سعيد كمال، وعبد القدوس الأنصاري، وآخرين في الجانب المعرفي

على أنه ونتيجة لارتكاز محور الفعل الثقافي في فترة الثمانينات الميلادية من القرن المنصرم على نموذج المثقف الغربي وفقاً لتوجه ما اصطلح على تسميتهم بـ«الحدائين»، فقد تقلصت علاقة عديد من المثقفين السعوديين بطبيعة الحراك الفكري، وضعفت علاقتهم بالتنويريين ممن ينتمون للمدرسة العقلية ويتبنون تراثها الفكري الإسلامي، وهو ما جعل التنويريين يعيشون بمعزل عن ثنايا المشهد المجتمعي، وأفسح المجال لرموز «الصحوة» لكيل التهم لهم، مما أدى إلى توتر الساحة الثقافية، لاسيما مع بروز عديد من ألفاظ التبديع والتفسيق في الإطار الديني لكل من يخالف توجه الرأي الديني الأحادي السائد، أو الاتهام بالاستغراب ومتابعة أطروحات المستشرقين لكل من يعارض المنهج التقليدي في قراءة الموروث الثقافي؛ وفي المقابل جرى اتهامهم من قبل الحدائين بالتخلف والرجعية والظلامية، وهو ما أدى إلى شلّ حركية نماء المشهد الثقافي السعودي، وعمل على تقوقع تفاصيله ضمن زوايا محددة من البحث والتداول، لم تكن هي جوهر اهتمام الشارع الثقافي الواسع، الذي تم تغييبه في لب ذلك الصراع، وعمل البعض على استلابه فكرياً وإيمانياً خلال تلك الحقبة

والسؤال: كيف سيكون سياق الاستجابة اليوم ثقافياً من بعد إنهاء مظاهر التحدي الفكرية وإقرار سياسة الانفتاح؟

من المبكر الحكم على المرحلة الحالية بشكل كلي، لكونها لا تزال في إطار التكوين والبناء، غير أنه يمكن ملاحظة وسائلها المتبعة وتقييم الخطوات التي تتم، بناء على ما اكتنته المملكة العربية السعودية من إرث كبير يصعب إغفاله، ومنتج مهم تم صناعته بجودة عالية في عقود القرن العشرين الميلادي يصعب إزالته أو تهميته، وهو ما يجعل المراقب قادرا على تقييم الخطوات المبدئية المتخذة من قبل الهيئات الأحد عشر التي أسستها وزارة الثقافة، ووضع علامات الاستفهام على عديد من خططها الغائية وسياقاتها الإجرائية المنفذة واقعا على سطح المشهد الثقافي.

في هذا الإطار يمكن للمراقب أن يشهد تغيرا كبيرا وملموسا على خارطة الذهن الثقافي السعودي، جراء الرؤية الحديثة لوزارة الثقافة واستراتيجيتها المعلنة حال التأسيس، وحتما فقد كان للقرار السياسي دور كبير ومركزي في ذلك، من خلال ما صدر من تشريعات تنظيمية عملت على تجاوز كل العوائق الإدارية السابقة، بل وكل الموانع الدينية التي لم تكن تستند إلى رأي ديني قاطع، وإنما اجتهادات فردية يمكن الاختلاف معها، وكان من جراء ذلك أن تحرر المشهد الثقافي من سلطة البيروقراطية الإدارية والأيدولوجيا الدينية، وعزز أفكارا ومفاهيم تنويرية عديدة لعل من أهمها فكرة ومفهوم التنوع بوجه عام، والثقافي منه بوجه خاص، وحتما فإن إقرار خاصية التنوع والإيمان بها دليل على ثقافة الاعتراف بالآخر، وهي قيمة ثقافية مهمة.

على أن سؤالا مهما يبرز للمراقب لاسيما وأنه قد مضى على تأسيس وزارة الثقافة خمس سنوات حافلة بكثير من المنجزات والعناوين لمشاريع ومبادرات متنوعة؛ وهو: هل سارت الوزارة هيئاتها المتعددة في الطريق الصحيح الذي يسهم في قدرتها على تمثل أهدافها الاستراتيجية المعلنة؟

حيرة واستغراب:

واقع الحال فليس سهلا تقييم ذلك ابتداء بشكل منهجي، إذ من المبكر الوصول إلى التقييم النهائي لدور ومشاريع ومبادرات الوزارة وهيئاتها الرسمية، غير أن بعض القرارات غير المفهومة قد أدخلت الحيرة في ذهن المراقبين، لاسيما فيما يتعلق ببعض المنجزات السابقة التي يمكن الاستفادة منها بشكل فاعل، كما هو الحال في إطار تعاطي هيئة الأدب والنشر والترجمة مع مؤسسة الأندية الأدبية الثقافية التي بلغت ثلاثة عشر ناديا، وجمعية الثقافة والفنون بفروعها الستة عشر والتي تم إسقاطها من ذهن وعقل وزارة الثقافة كلية، حيث لم تقم الهيئة بضم هذين المنجزين الثقافيين الكبيرين اللذين تأسسا في عام ٥٩٣١هـ الموافق ٥٧٩١م على يد جيل الرواد في المملكة العربية السعودية من الأدباء الكشكوليين والمثقفين البارزين والفنانين الموسيقيين والتشكيليين والمسرحيين، وغيرهم من محبي

الثقافة من رجال الدولة والأعمال. وأثمرت هاتين المؤسستين الكثير من الأعمال الرائدة التي شكلت أساسا لحالة التحديث والتنوير المعرفي بالرغم من ضعفها في مقابل مؤسسات رموز «الصحوة» المتشددة والأحادية

وكما هو الحال في إطار تعامل هيئة المكتبات مع مقرات المكتبات العامة في مختلف المدن الرئيسية في المملكة والتي تم تأسيسها وفقا لأحدث الطرز المعمارية المناسبة في حينه، وحوث الكثير من الكتب والنفائس المعرفية وبعض المكتبات الخاصة بما تحويه من فرائد ومخطوطات، ثم جرى إسقاطها من ذهن وعقل وزارة الثقافة بشكل كلي.

كما لم تهتم وزارة الثقافة بدعم الصفحات والمجلات الثقافية وتعزيز مكانتها قرائيا بين جبهة الشباب، وكذلك الحال مع قناة الثقافة التي تم إلغاؤها بجرة قلم من مدير عام هيئة الإذاعة والتلفزيون داود الشريان، وكان يمكن وقف القرار وإعادة الاهتمام بتطوير محتوى القناة ودعمها ماليا لتحقيق الغاية والمراد، مع الإشارة إلى أنها كانت قائمة بواجبها بشكل كبير بالرغم من قلة ميزانيتها في حينه

وفي جانب المسرح وهو أحد المستحدثات الرئيسية في هيكل وزارة الثقافة مع تأسيسها لهيئة مختصة به وبالفنون الأدائية، فقد كان مرجوا أن تعمل الهيئة على تأسيس المسرح الوطني ماديا ومعنويا، بمعنى أن تقوم ببناء وتأسيس عدة مسارح وطنية بمقاييس المسرح المعتمدة في عدد من المدن الرئيسية ابتداء بالعاصمة الرياض وجدة غربا والخبر شرقا، وتقوم بضم المسرحيين السعوديين الذين ناضلوا لإقامة مسرح وطني في العقود السالفة، ليكون المسرح الوطني مؤسسة ثقافية تسعى لإنتاج مسرح وطني قومي رصين، بعيدا عن البعد التجاري بما يفرضه التسويق الإعلاني من بساطة وسذاجة غير مبررة بحجة أن الجمهور يريد ذلك.

وفي ذات الإطار فقد كان مرجوا أن يتم مع العهد الجديد لوزارة الثقافة إنشاء كلية متخصصة للفنون في العاصمة الرياض وفي مدينة جدة غربا والخبر شرقا وأبها جنوبا وتبوك شمالا، ليلتحق بها كل من يرغب بدراسة مختلف أنواع الفنون من سينما بتجلياتها، ومسرح بتفرعاته، وموسيقى بمختلف ألاتها وتخصصاتها، وفي حينه سيكون لأي مهرجان فني عربي أو دولي قيمة مضافة سواء فيما يتعلق بالسينما أو المسرح وصولا إلى الموسيقى.

تجدد الإشارة إلى أنه وحال كتابة هذا، جرى إعلان الاتفاق المبرم بين وزارة الثقافة السعودية ومجموعة (MBC) الإعلامية لإنشاء قناة ثقافية جديدة^(١٨)، وهو ما يبشر بخير، ويثير الخوف أيضا جراء الخشية من أن يتم إدارة محتواها بذهن تركز على سياسة القطيعة المعرفية، أو الوصل المعرفي المجزأ، والذي لا يصنع بعدا ثقافيا معرفيا حقيقيا

مع الإشارة إلى أن من السابق تقييم دور وفاعلية القناة الثقافية في السياق المجتمعي حالياً، مع أهمية الأخذ في الاعتبار مدى اهتمام المجتمع وقابليته وتفاعله مع الشأن الثقافي بوجه عام، إذ إن نماء أي منشأة إعلامية، وزيادة مهاراتها، يعتمد بدرجة رئيسة على تفاعل مختلف فصائل المجتمع معها. وبالتالي فمن الطبيعي أن تعمل القناة جهدها للتغلب على مختلف التحديات، وتسعى بمهنية لجذب المشاهد إليها، ويكون أسمى أهدافها إعادة إحياء النشاط الثقافي في ذهنية مختلف شرائح المجتمع.

ولا شك فإن ذلك يتطلب توفر عدد من الأسس المهمة، لعل في مقدمتها وجود إدارة مهنية كفؤة، تملك القدرة على استبطان ما يجذب الجمهور بمختلف فئاته، فتعمل على صناعة ودعم مختلف البرامج التي تحقق هدفها بمهنية عالية؛ ناهيك عن أهمية أن يوفر للقناة معدون ومقدمون من داخل المشهد الثقافي، بملكات فكرية متطورة. وكل ذلك لن يكون بمنأى عن إجراء الدراسات التسويقية المتخصصة، التي تستكشف رغبات الجمهور المستهدف ومتطلباته؛ مع تكثيف حالة التسويق الإعلامي، والاهتمام برعاية عديد من المناشط الشبابية المعاصرة كبرامج «التوك شو» والكوميديا الارتجالية «الاستناد أب كوميدى»، التي باتت واضحة مدى تأثيرها وانتشارها بين شريحة الشباب اليوم، مع العمل على تطوير مضمونها بالشكل الذي يحقق الفائدة المرجوة، والأهم مواءمة كل ذلك ببرامجها بحيث تمتزج ببرامج المتعة الشبابية ببرامج ثقافية أخرى متنوعة. إنها الخلطة السرية الناجحة التي تحتاج إلى مهارات إدارية ثقافية متخصصة، وواعية، وتملك هدفاً غائياً تسعى إلى تحقيقه^(١٩).

هذه المؤشرات تضع الباحث المراقب في حيرة من حقيقة تمثل وزارة الثقافة لمفاصل رؤيتها الاستراتيجية المعلنة والتي نصت في أحدها على قيادة القطاع الثقافي السعودي وبناء الأطر التنظيمية والتشريعية المناسبة والفعالة، وتطوير البيئة الثقافية، ودعم الجهات الفاعلة لتكون أكثر قدرة على المشاركة الفعالة في تنمية القطاع الثقافي، فلماذا لم يتم استيعاب هذه المؤسسات ويتم بناء أطر تنظيمية وتشريعية جديدة لها وفعالة؟ لاسيما وأنه قد مضى على إنشائها قرابة نصف قرن، وكانت أحد مكونات الحراك المعرفي في فترات ماضية

سمات وملامح المشروع الثقافي:

تجدر الإشارة إلى أنه وبالرغم من كل الإنجاز الذي حققته وزارة الثقافة على صعيد التحرر من مختلف القيود المكبلة لبرامجه سواء في الإطار الأيديولوجي أو الإداري المتمثل في البيروقراطية والرقابة السلبية، إلا أنها بحاجة إلى أن يقترن المشروع الثقافي المعاصر في المملكة العربية السعودية، ببعد فكري تنويري يكون قادراً على صياغة تفاصيله، ويمثل قاعدة متينة لانطلاقه، وحاضناً لمختلف مفاصله. وتتمحور سمات ذلك المشروع في الإيمان بالجوانب التالية

تهدف ثقافة المثاقفة، المعارضة كليا لثقافة الاستبداد الثقافي، إلى موازنة عملية التغيير والتطوير الثقافي الطارئ على مجتمع ما، جراء حميمية التواصل والتفاعل، مع السائد الثقافي الإقليمي والدولي بشكل فعال ودون إعمال أي تغيير جذري بصورة سلبية مشوهة على ملامح السائد الثقافي المحلي، بحيث يكون للمتغير الثقافي المعاصر أثره الإيجابي على مجمل الأنماط الثقافية الأصيلة، التي تهدف وفقا لذلك إلى استثمار ما لدى الثقافات الأخرى من قيم ومعطيات إنسانية وحضارية نبيلة.

وهو ما سيؤدي حتما إلى تنمية روح الثقة والتسامح بين الأفراد والجماعات، إذ أنها ستزيل كثيرا من الأوهام، وستساعد على تفعيل القواسم المشتركة بين مختلف الأطياف، الأمر الذي سيخفف من حدة التوتر وسلبات العداوة البينية، التي عادة ما يغذيها الجهل بالآخر، والإيمان بما تكوّن في الذهنية من أحكام سلبية مسبقة

وبذلك فإن شيوع ثقافة المثاقفة في أي مجتمع بصورته الإيجابية، البعيدة عن ملامح الاقتباس الكلي والاستعارة العمياء لما لدى الآخر الثقافي بشكل مطلق، ستتمكن من إشاعة حالة النماء الثقافي في صورته الإيجابية، ومن ثم إعادة قراءة التراث القراءة الواعية القادرة على استشراق المستقبل ومتابعة تحدياته، والمهم هو التمكن من تنمية قدرات الأجيال الثقافية بكل بصيرة وتبصر، وحماية تعددية المجتمع الخلقة من أي فعل خارجي يهدف إلى تدميرها، ومن أي خلل يمكن أن يعترها، فيستثمره المتربصون الراغبون في إشعال نار الفتنة والفرقة داخل الكيان الواحد(٢٠)

وللمملكة العربية السعودية تجربة ثرية في هذا الأمر، حيث عاش ساحلها الغربي والشرقي سمات ثقافة المثاقفة منذ أمد طويل، ولم يقتصر ذلك على الجوانب الاجتماعية، بل امتد إلى الجوانب المذهبية وما تمثله من أفكار وآراء فقهية متنوعة، وكان أن جمعت مدن الساحلين كمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة على الساحل الغربي، علاوة على منطقة الأحساء ومنطقة القطيف على الساحل الشرقي، بين جموع متنوعة من المذاهب والأفكار والآراء، علاوة على العادات والتقاليد والثقافات المختلفة.

وفي هذا السياق فقد استقطبت مدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة كثيرا من الأفئدة التي جاءت رغبة في أداء فريضة الحج أو العمرة وزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم كان أن أثر بعض منهم الاستقرار في المدينتين المقدستين طلبا للجوار، وحتما فقد انتمى أولئك إلى عديد من الثقافات شرقا وغربا، حيث جمعت المدينتين من كل الأقطار والأعراق والألوان من مختلف القارات، وكان لكل منهم ثقافته الخاصة، وعاداته وتقاليده المختلفة، بل وأطعمته المتنوعة.

على أن كل ذلك قد انصهر مع بعضه البعض في بوتقة واحدة وفقا لخاصية ثقافة المثقفة، لينتج بعد ذلك ثقافة واحدة مكونة من كل الثقافات الأخرى، وتبلورت هوية جامعة تم صياغتها من مختلف الهويات السالفة، وهو ما حقق الاندماج المجتمعي الإيجابي بعد ذلك في المدينتين الكريمتين، حتى لم يعد ممكنا التفريق بين إنسان قادم من أقاصي شرق آسيا وآخر قادم من أقاصي الغرب الإفريقي، بحكم ما باتوا فيه من توافق مجتمعي على مختلف الأصعدة، وحتى على صعيد السمات الفسيولوجية التي تماهت مع بعضها البعض جراء فعل الزواج والمصاهرة بين بعضهم البعض.

وإذا كان ذلك قائما في المدينتين الكريمتين فهو ممتد إلى مدينة جدة التي تم ترسيمها كميناء لمكة المكرمة منذ العام ٢٦ للهجرة على عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبذلك فقد جمعت بين خصيصة أن تكون بوابة لمكة المكرمة وميناء تجاريا رئيسيا على ساحل البحر الأحمر، وهو ما جعلها موئلا لكثير من الأجناس والأعراق الذين عاشوا في المدينة لحمدة واحدة وفق ثقافة المثقفة أيضا.

وكان من جراء ذلك أن حوى الساحل الغربي لعديد من السياقات الثقافية المتنوعة من قصص وحكايات وأهازيج ورقصات شعبية كالمصهبة والمزمار وغيرها، علاوة على سمات غذائية عبر عديد من الأطعمة المتنوعة شرقا وغربا والتي تم احتواؤها وإعادة إنتاجها وفق بيئة محلية كالأطعمة الأسيوية والإفريقية وكذلك الأطعمة الشامية جملة؛ وكذلك الحال مع الهوية البصرية التي جمعت بين كل الثقافات، وأخذت منها بطرف، سواء على صعيد الملبس للرجال والنساء، أو على الصعيد المعماري والتخطيط الحضري بوجه عام^(٢١).

دمج الوافدين ثقافيا:

هذه التجربة الفريدة جديرة بأن يتم استحضارها والاستفادة منها في أي مشروع ثقافي معاصر يهدف إلى دمج الفئات الوافدة في طبيعة المجتمع المحلي، ويستفيد أيضا من عديد من سماته ومظاهر ما يخرزونه من موروث مجتمعي، فيقوم بصهره في البيئة المحلية، ولا يتأتى ذلك إلا بالإيمان بثقافة المثقفة، وهو ما يحقق للفئات الوافدة الاندماج المجتمعي، ويقطع حالة القطيعة التي تعيشها تلك الفئات الوافدة مع المجتمع المحلي، وحتما سيقضي على مختلف الأحياء المعزولة عن سياق المجتمع والتي غالبا ما ترتبط ارتباطا وثيقا بثقافتها المحلية وعاداتها وتقاليدها وأطعمتها وغير ذلك، كما هو الحال مع عديد من الأحياء الصينية في بعض بلدان العالم

ولتحقيق ذلك يمكن لهيئات الثقافة الأحد عشر السعي إلى دمج الثقافات الأخرى الوافدة في الثقافة السعودية، من خلال تسليط الضوء عليها، وتشجيعها على الانخراط في النسق الثقافي المجتمعي،

ناهيك عن تحفيز المجتمع المحلي لقبولها باعتبارها إرثا إنسانيا يمكن التماهي معه والاستفادة من خصائصه بالقدر المتاح. وليس الأمر محصورا على الجانب المعرفي، بل إن أساسه مرتكز على الثقافة الموسيقية، وثقافة الطهي والأزياء التي كانت مؤشرا للتبادل الثقافي بين الشعوب عبر الزمن

ومن الجميل أن تبدأ وزارة الثقافة السعودية بتحقيق ذلك من خلال معرضها الأول «بين ثقافتين» الذي تم افتتاحه في شهر سبتمبر من هذا العام ٢٠٢٣ م، واختيرت اليمن لتكون أول دولة يتم تسليط الضوء على ثقافتها وموروثها بشكل عام. ويهتم المعرض بالتعريف بمختلف الثقافات العالمية، وإلقاء الضوء على أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين الثقافة السعودية، وعليه فقد ركز المعرض في نسخته الأولى على التعريف بثقافة الجمهورية اليمنية وبيان ارتباطها بالثقافة السعودية، متناولا جوانب مختلفة كالأزياء، والفنون البصرية، والعمارة، والتصميم، وفنون الطهي، وغيرها^(٢٢)

ثانيا/ الإيمان بالاعتراف بالآخر:

تمثل ثقافة الاعتراف بالآخر أحد أهم السمات الحيوية لأي ثقافة متجددة، وهي نتيجة طبيعية للإيمان بثقافة المثاقفة التي تنطلق في جوهرها من الاعتراف بحق الآخر في التعبير عن أشكال ثقافته، واحترام ما يتداوله من أنساق ثقافية، والتماهي معها بعد ذلك بصورة سلسة بما يحقق ثقافة المثاقفة بعيدا عن سمات وخصائص الغزو الثقافي القائم على اعتماد ثقافة فوقية، وتقدير الوصاية إيمانا بالتمايز البيني مع الآخر المختلف.

وعليه فإن ثقافة الاعتراف بالآخر تصب في إلغاء فكرة التمايز العنصري من جهة، وتؤكد على رفض مفهوم الوصاية أيا كان نوعها وصورتها، وحتمًا فالوصاية الدينية أحد أهم أشكال الوصاية التي تقتل الابداع، وتقاوم الانفتاح على الأفكار المختلفة، وهو ما عانى منه المشهد الثقافي السعودي في فترة ماضية مع سيطرة مفاهيم «الصحة» المتشددة على طبيعة الحراك الثقافي.

وبالتالي فإن أي مشروع ثقافي معاصر يريد أن يتميز ويحقق الأهداف الغائية المبدعة يجب أن ينطلق من ثقافة الاعتراف بالآخر وجودا وثقافة، بعيدا عن فرض أي وصاية اجتماعية أو دينية؛ وانطلاقا من وعي إنساني بالموروث الذي يمثل قاسما مشتركا، ويسهم في تحقيق الاندماج المجتمعي في حده المقبول.

أمام ذلك يمكن أن تستفيد هيئات وزارة الثقافة المختلفة من كم كبير من النتاج الغزير للموروث الثقافي الإنساني الصادر عن عديد من الجاليات الوافدة، بالتفاهم مع الملحقيات الثقافية لبلدانهم، ومن خلال فتح المجال للمنتمين للحراك الثقافي للمشاركة في الأنشطة الثقافية على مختلف ألوانها

ناهيك عن الاهتمام بالتمايز الثقافي السعودي المنوع، الذي ينطلق من عبقرية المكان وثرء الجغرافيا،

حيث ساهم التنوع القبلي، وتعدد واختلاف المناطق جغرافياً، وتماس بعضها مع ثقافات مجاورة، في اكتناز المملكة لكثير من الموروث الثقافي النفيس على مختلف الأطر والسياقات الثقافية من: موسيقى، وفلكلور، وأهازيج، وأدب، وحكايات شعبية، وغير ذلك مما يمكن تلمسه ثقافياً في مختلف أرجاء المملكة العربية السعودية.

ثالثاً/ الإيمان بالتنوع الثقافي:

أكد نص الإعلان الأممي للتنوع الثقافي الصادر عن اليونسكو بأن احترام تنوع الثقافات، سيعزز من تفعيل خاصية الحوار البناء، ويزيد من ثقافة التفاهم والتسامح التي من شأنها الوصول إلى السلام والأمن الدوليين؛ وشدد في مواده الرئيسية على الإيمان بالتنوع الثقافي بوصفه تراثاً مشتركاً للإنسانية، وبأنه سبيل لتحقيق التعددية الثقافية، وهو محرك رئيسي للتنمية، وضمن لحقوق الإنسان من خلال عدم مصادرة حقه في المشاركة في الحياة الثقافية مع ممارسة تقاليده الثقافية الخاصة، في الحدود التي يفرضها احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية. مع الإشارة إلى أن حالة التنوع الثقافي تحفز على الإبداع لما تيسره من تداول حر للأفكار بضمن السياسات الثقافية التي تكفل تهيئة الظروف لإنتاج ونشر مواضيع ثقافية متنوعة.

وكان من جراء ذلك أن خصص يوم ٢١ مايو للاحتفاء عالمياً باليوم العالمي للتنوع الثقافي وذلك اعترافاً بضرورة تعزيز المكانة التي تمثلها الثقافة بوصفها وسيلة لتحقيق الازدهار والتنمية المستدامة والتعايش السلمي على الصعيد العالمي، ناهيك عن دورها في تحقيق الاندماج الإيجابي ضمن أي مجتمع، وهو ما يحقق التنمية الاجتماعية والبيئية والاقتصادية المستدامة (٢٣)

وواقع الحال فيحمل مفهوم التنوع الثقافي فكرة التعايش بين أكثر من مظهر ثقافي داخل الوسط المجتمعي نفسه، وينطوي على قيم إنسانية من شأنها أن توفر نوعاً من خارطة الطريق للتنظيم الاجتماعي والثقافي والمؤسسي للمجتمعات المعاصرة، وهو عنصر قوة في المجتمع، كما يشكل قوة محركة للتنمية المستدامة، علاوة على أن الإقرار به يسهم في تنمية الحوار بين الحضارات والثقافات، وبلوغ أقصى درجات التفاهم والاحترام

وإيماناً من المملكة العربية السعودية بقيمة التنوع الثقافي ودوره الحضاري في تحقيق التنمية، فقد وافق مجلس الوزراء السعودي في الـ ٢٤ من شهر جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠٢٣م برئاسة خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود على انضمام المملكة إلى اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي لعام ٢٠٠٥م^(٢٤)

وتقر هذه الاتفاقية الطبيعة المتميزة للأنشطة والخدمات الثقافية بوصفها حاملة للهويات والقيم والدلالات، كما تؤكد حق الدولة السيادي في مواصلة واعتماد السياسات والتدابير التي تراها ملائمة لحماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي على أراضيها، وأهمية تهيئة الظروف التي تكفل ازدهار الثقافات وتفاعلها تفاعلا إيجابيا

ومما لا شك فيه فإن الإيمان بثقافة التنوع قد أكسب المملكة العربية السعودية مكانة عالية بين الشعوب، ومكنها من البروز بشكل مختلف، لاسيما وأنها تجمع بين حناياها أشكالا متنوعة من التضاريس الجغرافية، بما تعكسه من سمات حيوية، وصور وأنماط حياتية، وعادات وتقاليد اجتماعية، وفنون ورقصات وأهازيج وحكايات شعبية متميزة عن بعضها البعض شكلا ومضمونا. هذا الثراء في الأشكال والألوان والطبائع الجغرافية والحياتية يكسب أي مجتمع خاصية فريدة يجعله متميزا عن غيره، وهو ما يميزه المجتمع السعودي من الماء إلى الماء، ومن أعالي الشمال إلى أقصى الجنوب

وبالتالي فهم أن تستفيد وزارة الثقافة من ذلك، وتعمل على تفعيله وفق خصائصه المحلية التي يمكن أن تكون قاسما مشتركا مع خصائص ثقافية عربية وإقليمية مجاورة، ومع غيرها من الثقافات العالمية، وهو ما يزيد من متانة الثقافة الوطنية من جهة، ويميزها عن غيرها من الثقافات في المنطقة والإقليم.

وفي هذا تصبح الثقافة الشمالية من المملكة العربية السعودية بما تحويه من حكايات وأهازيج وفلكلور شعبي إلى غير ذلك من سمات التراث اللامادي بشكل عام، منصة جامعة تتصل بها الثقافات المجاورة في منطقة الهلال الخصيب حين وادي الرافدين وبلاد الشام بعموم دوله اليوم. والأمر كذلك مع الثقافة الجنوبية في المملكة العربية السعودية التي تتوافق في سماتها وخصائصها مع ثقافة المجتمع اليمني إجمالا، وكذلك الحال مع السمات الثقافية في شرق المملكة العربية السعودية التي تتوافق وتتحد مع غيرها من السمات الثقافية في محيط منطقة الخليج العربي بساحليه الغربي والشرقي.

وبحكم مركزية المملكة العربية السعودية وكبر حجمها وعمق وجودها الحضاري، علاوة على تنامي قوتها الدولية وتقدمها المطرد، فتستطيع أن تكون المنصة الكبرى الجامعة لمختلف الثقافات التي يمكن أن تنصهر في بوتقتها بشكل متجانس، وتشكل - من ثم - في هوية ثقافية عربية جامعة، أسوة بما هو قائم في الولايات المتحدة الأمريكية التي مثلت المنصة الجامعة لكثير من الخصائص الثقافية العالمية، والتي تم الاعتراف بها، ومارست حقها الإنساني في الالتزام بخصائصها الثقافية، ودون أن تقصي ثقافة أخرى، وهو ما جعل تلك الثقافات تتماهى مع بعضها البعض، وتعيد تشكيل خصائصها في منصة القواسم الحضارية المشتركة، بما خلق الهوية الأمريكية المعاصرة بما تحمله من سمات وخصائص ثقافية كونية.

رابعاً/ الإيمان بدور المرأة الوظيفي على الصعيد الثقافي:

انتمت المرأة السعودية المعاصرة بثقافتها إلى تاريخ مكتنز بالأصالة والحرية المسؤولة التي أهلها لأن تكون مضرب مثل لمختلف قيم المروءة والشهامة والإباء العربي الأصيل؛ كما عاشت قرونا من الثقة المجتمعية التي فرضتها كل الأعراف والتقاليد العربية الأصيلة، فلم تكن في المخيال التراثي عارا يجب أن يُخفى، وليست عبئا يتوجب التخفيف منه، بل كانت مثار افتخار وتودد وعزة ومنعة في كثير من نصوص الأدب الشعبي (٢٥). على أن ذلك قد بدأ في التحول بشكل لافت للنظر مع حلول الثلث الأخير من القرن العشرين، وظهور ما يعرف بثقافة «الصحوة الدينية» التي قدر لها أن تتحكم بمفاصل المجتمع (٢٦). وكان للأسف أن ارتكزت عديد من مفاصل ما يسمى بـ«الصحوة» على جانب تعزيز الفصل المجتمعي بين المرأة والرجل، انطلاقاً من مفاهيم دينية تم تقديمها وكأنها الحقيقة المطلقة، وأن ما سبقها كان خطأ فادحاً مؤدي لجوانب من الفسق والانحلال، وكان مؤدى ذلك أن تم تضيق الخناق على المرأة، وتم كبت كثير من مظاهر حريتها، وإلغاء أي نوازع مستقلة لشخصيتها، لتصبح تابعا مطلقا للرجل سواء كان أبا أو أخا أو زوجا وحتى ابنا (٢٧).

وللأسف فقد انطلقت مفاهيم «الصحوة» من منظور ديني خاطئ قوامه تعزيز مفهوم عدم الثقة بالمرأة والرجل على سواء، مع تحميل المرأة كل اللائمة لأي خطيئة مجتمعية، وارتكزت على مفاهيم سوء الظن في منحى مخالف لقطعية الثابت القرآني المحذر من ذلك، ليصبح من حينه الظن المنهي عنه مستندا يتم البناء عليه في تقييد حرية المرأة المسؤولة، وأساسا ينبني عليه تنفيذ كثير من الأحكام المخالفة لقواعد الفقه الإسلامي المتفق عليها، بل وجرى تصدير عديد من الأحاديث النبوية ذات السمة المعيبة في حق المرأة كالقول: «بأن النساء ناقصات عقل ودين» بمنظار سلمي بحت، على الرغم من إمكان النظر إلى مفهوم ذلك برؤية إيجابية أخرى

على أن كل ذلك قد تلاشى وأعيد للمرأة السعودية كيانها الاجتماعي المناسب وصاحب ذلك حضورا ثقافيا بما يتوافق مع المفهوم الديني الصحيح والبعد الاجتماعي الطبيعي، وهو ما تعيشه المملكة العربية السعودية اليوم وفقا لرؤية ٢٠٣٠ التي أسس مدامها ودعم قواعدها التشريعية الأمير محمد بن سلمان ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء السعودي، الأمر الذي مكّنها من الحضور ثقافيا بالتوازي مع الرجل، بل وصارت أحد مُشكّلات وصانعات المشهد الثقافي على صعيد العمل الرسمي وما يتعلق به من مؤسسات تهتم ببناء السياسات الثقافية السعودية التي تتبناها وزارة الثقافة حاليا.

خامساً/ الإيمان بدور المجتمع المدني:

اعتمدت وزارة الثقافة استراتيجية للقطاع غير الربحي تستهدف بناء منظومة متنوعة من الجمعيات

غير الربحية في جميع المناطق، على أن تشمل تكوين ١٦ جمعية مهنية في ١٣ قطاع ثقافي (٢٨). واهتمت الاستراتيجية بتطوير هذه المنظمات من حيث توزيعها الجغرافي، وقياس أثرها الاجتماعي والاقتصادي، وتوسيع مجالات اختصاصها بالنظر إلى القطاعات الثقافية، وتطوير قدراتها الإدارية والتسويقية والتشغيلية، ومواءمتها مع نظام الجمعيات والمؤسسات الأهلية، ورفع قدرتها على خلق فرص جديدة في جذب الدعم

وتعمل وزارة الثقافة على تطبيق خطتها للقطاع من خلال توزيع المنظمات غير الربحية على خمس مستويات وهي: المؤسسات الأهلية، والجمعيات المهنية، والجمعيات المتخصصة، والجمعيات التعاونية، وأندية الهواة. وكان أن دعت وزارة الثقافة المهتمين للتقدم إلى وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية لإنشاء مؤسساتهم الأهلية، وجمعياتهم المدنية التعاونية في حقول: الأدب، والنشر، والترجمة، والمكتبات، والتراث، والمتاحف، والمسرح والفنون الأدائية، والموسيقى، والأفلام، والأزياء، والطهي، والعمارة والتصميم، والفنون البصرية.

كما أطلقت عددا من هذه الجمعيات وتم إقرار رئيس وأعضاء مجالس إدارتها، وتعيين مدراءها التنفيذيين ومدراء المشاريع وعددا من الموظفين في كل جمعية، وكانت جمعية المكتبات أول جمعية مهنية ثقافية تأسست في ٣٢ أغسطس ٢٠١٢م، وفي ٢٩ سبتمبر ٢٠١٢م تم تأسيس جمعية مهنية للأدب، وكذلك جمعية مهنية للناشرين، وفي ٢٠ سبتمبر ٢٠١٢م تم تأسيس جمعية مهنية للتراث العمراني، وفي ٦١ أكتوبر ٢٠١٢م، تم تأسيس جمعية مهنية للأفلام، وفي ٢٤ أكتوبر ٢٠١٢م تم تأسيس جمعية مهنية للمسرح والفنون الأدائية، وفي ٣١ أكتوبر ٢٠١٢م تم تأسيس جمعية مهنية للفنون البصرية، وفي ٢ نوفمبر ٢٠١٢م تم إطلاق جمعية مهنية للآثار، وفي ٨ نوفمبر ٢٠١٢م تم إطلاق جمعية مهنية للطهي، وفي ٢٥ نوفمبر ٢٠١٢م تم إطلاق جمعية مهنية للتراث (٢٩)

يشار إلى أن هذه الجمعيات وإن كانت بلامح مدنية لكنها بروح حكومية، حيث جرى ترشيح واختيار رؤساء وأعضاء مجالسها من قبل وزارة الثقافة، كما جرى اعتماد موظفيها أيضا، وتم إقرارها تحت إشراف من دعم مالي للوقوف وإنجاز عملها.

على أن ذلك لا يعيها ولا ينقصها ولا يؤثر على قرارها الإبداعي بوجه أو بآخر، بل لم تكن لتكون لولا هذا الاحتضان المعنوي والدعم المالي، ذلك أن الحياة الثقافية في كل البلدان العربية قاصرة عن تأمين مصاريفها بشكل مناسب دون تدخل رسمي ودعم حكومي، لاسيما وأن الجانب الاقتصادي بها لم يتبلور بشكل فاعل وحقيقي، كما لم ينتج عن مشاركات الشركات الكبرى المتنوعة، والقطاعات المالية المتعددة كالبنوك والمصارف وغيرها، أي دور فاعل في صناعة مشهد ثقافي حقيقي وقائم بذاته، حيث لم تؤسس مساهماتهم المالية باسم المسؤولية المجتمعية أي كيان مستقل قادر على الاستدامة

أمام هذا الواقع فمن المهم أن تبادر مجالس الإدارات الحالية إلى تفعيل الحالة المدنية في الجمعيات المنشأة، فهي أشبه ما تكون بالمجالس التأسيسية المؤقتة، التي يكمن دورها في التحضير قانونياً ومهنيًا لتقوم الجمعيات العمومية لكل جمعية بانتخاب مجلس إدارة جديد يقود مسيرة الجمعية لفترة زمنية محددة وفق القانون المرسوم؛ كذلك فمن الطبيعي أن تسعى مختلف مجالس إدارات الجمعيات الثقافية إلى إيجاد مصادر دخل محايدة يحقق لها الاستمرار ويجعلها فاعلة ضمن المشهد الثقافي بما تقدمه من نشاط وفعاليات متنوعة تستوعب جميع الشرائح، وهو جهد يحتاج إلى إدارة واعية، متحررة من القيود البيروقراطية، ولا تؤمن بالشللية، ومنعتقة من أي ذهن أيديولوجي، وفي الوقت ذاته تحمل في داخلها مضمونا يستحق أن يقدم، ويستوعب حالة التطور الكائنة في المشهد، ليتم ملء الفراغ وتوثيق الروابط الثقافية بين أطراف المجتمع بوجه عام.

في جانب آخر فلم ينحصر عمل المجتمع المدني على جمعيات القطاع غير الربحي شبه الرسمية، بل تعدى ليشمل عديدا من المركز والمؤسسات الغير ربحية الأخرى التي اهتمت بتطوير الجانب الثقافي بمفهومه العام، ويأتي على رأس هذه المؤسسات نشاطا مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي (إثراء) التابع لشركة الزيت العربية السعودية (أرامكو) (٢٠)، وكذلك مؤسسة الأمير محمد بن سلمان الخيرية (مسك) التي نشطت في مختلف العلوم والمعارف ومنها مسك للفنون (٣١)، وأيضا مؤسسة (فن جميل) وغيرها (٣٢).

سادسا/ الإيمان بالأصالة والمعاصرة:

تمثل الثقافة بما تكتنزه من تراكم معرفي الأساس لأي تقدم حضاري، ذلك أنها الجوهر لكل منجز مادي، وهي القوة الناعمة التي تميز مجتمعا عن غيره، وحتما فكلما كان المجتمع عميقا في ثقافته، وينطلق من مخزون تراثي متجذر في عمق الزمن، كان أقوى وأكثر ثباتا في منظومته الحضارية التي لا تقتصر ملامحها على الشواهد المادية، وإن كانت معيارا رئيسا، لكنها تتمثل أيضا في منظومته القيمية والأخلاقية، وتكون أكثر زخما حين يجمع المجتمع بين الأصالة والمعاصرة، ويوائم بين الثابت والمتحول، وهي علاقة يصعب تنفيذها دون رؤية استراتيجية واضحة الأهداف والغايات.

في هذا السياق فقد عاشت الثقافة السعودية ابتداء حالة من التباين بين الأفراد بحكم طبيعة التضاريس الجغرافية، حيث يتنوع سطحها بين سهل وجبل، وبحر وصحراء، ولكل منها سماتها التي كان لها تأثيرها البيئي والنفسي، كما تمايزت مواقعها بين شمال وجنوب، وشرق وغرب، وهو ما أضفى شيئا كبيرا من التلاحق الثقافي والحضاري مع مختلف البيئات الحضارية المجاورة، ناهيك عن إدراك المثقف السعودي لعمق مدنه تاريخيا، وتجزر ثقافتها عبر القرون

كان ذلك ما أدركه الأديب السعودي عبد الله عبد الجبار (١٩١٨ - ٢٠١١ م) الذي سلط الضوء عليه في كتابه النفيس والذي وسمه باسم «التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية»^(٣٣)، حيث قدم كتابه بدراسة مستفيضة عن جغرافية الجزيرة العربية (نجد، والحجاز، وعسير، والأحساء) متحدثا عن موقعها ومناخها وحدودها وتضاريسها وأهم المدن فيها، علاوة على ثروتها الزراعية والمعدنية^(٣٤).

يشار إلى أن كتاب «التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية» قد أصبح مرجعا مهما للإمام بالتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية، حيث عكس التأثيرات التي ألفت بظلالها على المثقف السعودي سواء ما تعلق بالأفكار (قومية أو يسارية)، أو بمناهج النقد.

واعتبر بذلك أحد رواد علم الاجتماع الأدبي الذي يهتم بدراسة المؤثرات الاجتماعية والتاريخية والحضارية والبيئية على الأدب.

في هذا الإطار فقد وضحت حالة التجاذب بين التقليديين والتجديدين الذين أطلق عليهم في عقد الثمانينات من القرن العشرين الميلادي اسم «الحدائين»، وكان الصراع واضحا بين جمهور الأدباء والمثقفين منذ عشرينات القرن الماضي، والذي تمثل فيما كتبه أدباء ومثقفو المرحلة كأديب محمد حسن عواد الذي كتب «خواطر مصرحة» في عام ١٩٢٥ م وأثار حنق المجتمع في حينه بأفكاره التحديثية الجريئة وحديثه عن أهمية وجود المرأة في الحياة الوظيفية والثقافية، وهو أمر لم يكن مطروحا في حينه، ثم كانت رواية الأديب والمؤرخ والصحافي عبد القدوس الأنصاري في عام ١٩٣٠ م التي وسمها باسم «التوأمان» وعالج فيها من وجهة نظره الصراع بين المنتمين للثقافة الغربية ونظرائهم ممن درسوا وانتموا للثقافة العربية؛ كما وضحت رغبة المثقف السعودي في تأصيل ثقافته التي تنبع من بيئته الجغرافية، وتهل من مخزونها التراثي، وذلك في كتاب «وحي الصحراء» الذي قدمه الأديب المصري الدكتور محمد حسين هيكل، وجاء ردا على مقولة أن الثقافة السعودية رجع صدى للثقافة المصرية أو الشامية، وهو ما دعا الأديبان محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير لأن يصدرا الكتاب عام ١٩٣٦ م، ويوضحان في مقدمتهما عن مقصدهما من الإصدار بقولهما: «وتجمعنا مواسم الحج في كل عام بلفيف مثقف من شباب العرب فنجدهم يجهلون عن أدب هذا القطر الشيء الكثير، مما يأسف له كل غيور مخلص، ويحفظ عنا صورة غير صحيحة تشوه السمعة وتوجب الاشمئزاز وعدم الرضاء»^(٣٥).

خلال تلك الحقبة كان واضحا انتماء المثقف السعودي في أطروحاته للهوية العروبية والتي وضحت أفكارها خلال المد القومي في الخمسينيات والستينات من القرن العشرين، فكانت الواقعية قرين المرحلة، وهكذا جاءت معظم المؤلفات والأدبيات متوافقة مع تلك السمات الذهنية، وأمثلتها كثيرة

على مستوى الشعر والكتابة النثرية (٣٦)؛ ثم ما لبث أن ظهر المد الإسلامي بثقافته وملامحه الفكرية خلال فترة الستينات، والتي شكلت أساساً بعد ذلك لتيار ما عرف اصطلاحاً بـ«الصحوة»، والتي اهتمت بفكرة تعزيز الانتماء للموروث الإسلامي وفق رؤيتها الخاصة.

الحدثة وبروز الصحوة:

على أن ذلك قد أخذ في التغير مع عودة المبتعثين من الولايات المتحدة وأوروبا خلال عقد الثمانينات الميلادي من القرن المنصرم، حيث بدأت ملامح ثقافة جديدة تطفو على السطح، وتبرز في ثنايا المشهد الثقافي السعودي، متأثرة بالمنهج الغربي بشكل كبير، فكان أن برزت أفكار نقدية في المشهد المعرفي منطلقة من نظريات غربية كالتفكيكية والبنوية وغيرها، وتكثف وجود علماء الأنوار وفلاسفة عصر التنوير الأوربي في المشهد الثقافي، وتبنى المثقف السعودي أفكار الحدثة في نسقه المعرفي، فأنج معرفة جديدة لم ترق للتقليديين في حينه، فثار صراع بين الطرفين، وكان يمكن أن يظل صراعاً أدبياً لولا تدخل علماء «الصحوة» الدينية في حينه وتبنيهم خطاباً دينياً مضاداً لخطاب الحدثيين، بل وعمدوا إلى تأجيج الصراع معهم ليصبح صراعاً دينياً نتج عنه تبديع الحدثيين واتهامهم بالفسق، بل ومحاكمة أطروحات الحدثيين بنسق ديني متشدد، كما هو الحال في كتاب «الحدثة في ميزان الإسلام» للشيخ عوض القرني، الذي جاء في مقدمته: «ومن هذه الأفكار التي ابتليت بها الأمة وبدأ خطرهما يظهر في ساحتنا مذهب فكري جديد يسعى لهدم كل موروث، والقضاء على كل قديم، والتمرد على الأخلاق والقيم والمعتقدات، وهذا المذهب أطلق عليه كهانه وسدنة أصنامهم اسم الحدثة» (٣٧).

كما تصاعدت الحدة بين مشايخ «الصحوة» والتنويريين في أول عقد التسعينات من القرن الماضي، وذلك بسبب تبعات غزو العراق للكويت والاستعانة بقوات التحالف الدولية، التي رأى فيها مشايخ «الصحوة» خطأً كبيراً، وكان ابتداء هجومهم على مختلف القرارات التي تم اتخاذها لتحرير الكويت، فألقى الشيخ سفر الحوالي محاضرةً بعنوان: (ففرؤا إلى الله)، ثم ألقى الشيخ سلمان العودة محاضرة بعنوان (أسباب سقوط الدول)، وتوالت المحاضرات بعد ذلك من غيرهم، كما تم تبني خطابهم في مختلف الجموع الدينية الحركية في المملكة العربية السعودية، وهو ما دعا المثقف التنويري للانخراط في مناقشة تفاصيل ذلك الخطاب الصحوي، وبرز الأديب والشاعر والسياسي ورجل الدولة الدكتور غازي القصيبي للرد على تلك الخطابات، ولكن ليس بوصفه رجل الدولة والسياسي، وإنما المثقف السعودي التنويري، حيث كتب عدداً من المقالات في جريدة الشرق الأوسط، هاجم فيها مشايخ الصحوة، ووصفهم بالفقهاء السياسيين، «الذين فتحوا باب الفتنة، وبذلوا ما في وسعهم لإحداث البلبلة، ونشر الشروخ الخطيرة في قلب الإجماع»، ثم وحين نشر مقالته (قضية القضايا، وبقية القضايا)، اجتمع المشايخ على الردّ عليه، فألقى الشيخ عائض القرني خطبة بعنوان: (سهام في عين العاصفة)، وألقى الشيخ ناصر العمر محاضرة بعنوان: (السكينة السكينة)، وألقى الشيخ

سلمان العودة محاضرةً بعنوان: (الشريط الإسلامي: ماله وما عليه).

ولم ينته الأمر عند ذلك، بل قام الدكتور القصيبي بالرد على كل واحد منهم بعنوان خاص به، حيث جاء رده على الشيخ ناصر العمر بعنوان (يا أخي ناصر العمر اتق الله)، وعنون رده على الشيخ عائض القرني بقوله: (يا أخي عائض القرني الله في دماء المسلمين)، فيما جاء رده على الشيخ سلمان العودة قويا وبالعنوان واضح الدلالة وهو: (يا أخي سلمان العودة، اعذرنا، لا مكان لولاية الفقيه عندنا)، وكان أن جمعها جميعا ونشرها في كتابه (حتى لا تكون فتنة). (٣٨).

إشكال القطيعة المعرفية:

وبالعودة إلى لب الإشكال بين الحداثيين والتقليديين في عقد الثمانينات الميلادي نجد أنه قد تمثل في تبني المثقف السعودي الحداثي لسياق آخر لبلوغ حدائته، ودون أن يدرك أهمية أن يصنع سياقه المعرفي الخاص، ويبادر إلى بناء جسر عبوره المنطلق من تكوينه الذهني ومدماكه التراثي، كما فعل ذلك المثقف الأوربي الذي تمكن من بناء جسر عبوره بمتانة واقتدار، وبالتالي فعصي على الآخرين عبوره لاختلاف المكان والزمان الذهني أولا وأخيرا، وذلك هو لب الإشكال.

وكان السياق الأوربي للنهضة المعرفية قد ابتدأ بمحاربة الظلام الدامس الناتج عن سيطرة مفاهيم الكهنوت الكنسي حتى مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، الذي تغير فيه الحال جراء حالة التأثير الإيجابي التي اقتبسها المثقف الأوربي من تطور الحضارة العربية المسلمة عبر معابر الاتصال الجغرافية، فكان ذلك إيذانا بابتداء ملامح عصر النهضة وظهور الدعوة للتحريم من سلطة الكهنوت وبداية الحرب بين المحتجين (البروتستانت) والكنيسة الكاثوليكية، ونتج عن ترجمة الكتاب المقدس وتبني أفكار الحضارة العربية المسلمة انبثاق عالم الأنوار والخلوص إلى مرحلة نقد عالم الأنوار مع حلول القرن التاسع عشر، وفيه جرى تمتين أسس المعرفة وتنقيتها من كثير من الشوائب العلمية وهو ما أهلهم لبناء جسر العبور لبلوغ عصر الحداثة في القرن العشرين ودخول عصر ما بعد الحداثة.

في هذا السياق فقد كان واجبا على المثقف الحداثي السعودي أن يسعى لبناء جسر عبوره وفقا لتراتبية نسقه الذهني، وبالتالي فقد كان عليه أن يستعيد ربط مشيمته الفكرية بمرحلة عصر الأنوار في الثقافة العربية المسلمة، التي تبني لواءها علماء المدرسة العقلية، لا أن يكرس حالة القطيعة المعرفية معهم، ويستبعد النظر في مخطوطاتهم باعتبارها كتباً صفراء، لاسيما وأن الفضل يعود إليهم في إثارة السؤال وإعمال التدبر والتفكير، الذي أنتج تلك العلوم التي استفاد من مضمونها علماء عصر النهضة في أوروبا.

وكان أن أدى ذلك إلى دخول المثقف الحدائبي بوجه عام في حالة من الاستلاب المعرفي جراء تبنيه لسياقات النهضة الأوربية وإسقاطها على خريطتنا المعرفية. ومن الطبيعي أن ينتج عن ذلك ظهور فكرة القطيعة المعرفية مع التراث الذي تم حصره في إرث المدرسة النقلية بشكل مطلق، والمؤسف أن حالة الاستلاب قد استمرت ليتبنى المثقف السعودي التنويري بعمومه سياقات الحدائبي الأوربية، ويحتفي بفلسفات عالم الأنوار وكأنها فتح جديد عليه، ليعلن بلوغه عهد الحدائبي الوهمي دون بناء جسر عبور خاص به يعكس ملامحه الذهنية وسياقه المعرفي^(٣٩).

العبور:

على أن السؤال البارز في هذه الحالة هو:

هل نحن في حاجة إلى إعلان حالة القطيعة المعرفية (أبستمولوجيا) مع موروثنا العلمي، ليمكننا بلوغ حالة التقدم الفكري المنشود، ودخول عالم الحدائبي بشكل حقيقي وكلي؟

28

إن جزءا كبيرا من إشكال الذهنية العربية المسلمة خلال القرون الأولى المبكرة، كامن في حالة الجمود الذي أصيب به جراء عدم قدرته على التحرر من قيد ثقافة السلطة، الفردية الطابع، الاستبدادية المنهج، التي تمكنت من تسيير دفة الحركة المعرفية في المسار الذي يخدم مصالحها، ويُعزز من قوتها، مستفيدة من كل المعطيات الدينية والاجتماعية والعسكرية، من واقع اعتسافها تفسير النص الديني بالشكل الذي يتوافق مع رؤيتها، وتكريسها لمفاهيم السلوك العرقي، عبر تداولها الرسمي لمصطلح الموالي مثلا، في مجتمع تُشدد قيمه النبوية على المساواة وتعميق الأخوة، ناهيك عن ترويجها لمفاهيم ثقافة الجهاد دون التقيد بقواعده الأخلاقية الحاكمة، التي شدد عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

في ظل هذه المعطيات تشكلت أبرز ملامح الفكر الإسلامي، وتحددت أهم معالمه الفكرية التي شغلت رعيلا كبيرا من علماء الأمة على مختلف القرون وصولا إلى اليوم، وبالتالي فلا غرابة أن نعيش في القرن الخامس عشر الهجري/ الواحد والعشرون ميلادي، نفس إشكالات القرون المبكرة، والأعجب أن يستلهم كثير من مفكرينا ذات المحددات والمعطيات التي استلهمها الأوائل في نقاشهم وتبريرهم، وكأننا في دوامة لا تنتهي، والمؤلم أن يأتي أحدهم بعد ذلك ليُنظِر لعالم الحدائبي وما بعد الحدائبي في إطار مجتمع محكوم باليات كلاسيكية صلبة، وقيود من التراكمات النقاشية سميكة، يصعب معها تفكيكها بأي شكل من الأشكال. أمام ذلك تبرز فكرة صواب المراجعة المعرفية للموروث، وإعادة تبني الطروحات الفلسفية العقلية، والبناء عليها للبدء بمسيرة العبور نحو عالم الحدائبي المعاصرة^(٤٠).

أمام ما سبق هل يحمل المشروع الثقافي السعودي الحالي في ثناياه بعدا فكريا يرغب في الوصول إليه؟ أم هو تابع لما سبق من حيث البناء الفكري؟

واقع الحال فمع ابتداء القرن الواحد والعشرين دخل المشهد الثقافي السعودي بل والعربي، مرحلة جديدة من التشكل قوامها الفراغ بوجه عام، إذ وبدل أن تتعالى وتيرة الخطاب الفكري ويأخذ ملمحا فلسفيا جديدا ومتسقا مع طبيعة الحراك الدائر خلال الربع الأخير من القرن العشرين، أخذ المشهد في التراخي والدخول تدريجيا في بوتقة الفراغ؛ فالفكر القومي وما شاكله من أفكار اليسار واليمين قد تلاشت، والحدائث وما صاحبها من ضجيج وصخب قد انتهت، وبدأ التصور الإسلامي للدولة والمجتمع في التحول تدريجيا نحو العنف بما تمثّلته «القاعدة» ومن ثم «داعش» من أعمال إرهابية، وأفعال تخريبية، وكان أثر ذلك واضحا في طبيعة خطابها المتشدد، الذي انتقل من مرحلة التنظير إلى مرحلة التنفيذ. وكل ذلك قد تزامن مع فجوة فلسفية، ورؤية فكرية مقبولة، تساهم في صياغة خطاب ثقافي جديد، يُشكل سمات المشهد خلال الوقت الراهن.

29

وازداد هذا الفراغ في النسق الفكري توغلا مع بروز ظاهرة وسائط التواصل المجتمعي «السوشل ميديا» التي سمحت لكل أحد في أن يقول ويكتب ما يشاء في أي وقت يشاء، وينشر ذلك دون رقيب أو حسيب، ثم إذا تعوّد على ذلك ووجد استجابة من أشخاص يماثلونه في الوعي والمستوى، تصور أنه مثقفا، وأخذ يتحدث من مركزية انتمائه للمشهد الثقافي، وهكذا يُولّد الفراغ فراغا آخر من الوهم، ليصبح الوهم حقيقة، ويتحول السراب إلى قيمة ضمن أفاق المنجز الثقافي.

أمام ذلك فمن الطبيعي أن نشهد بروزا لظاهرة المثقف الوهمي، كما هو الحال مع الأكاديمي الوهمي، والأنساب الوهمية أيضا، وكل ذلك قد أخذ في التشكل باسم الثقافة، وتنتسب للمشهد الثقافي زورا وبهتانا، ودون أن يكون لها مضمونا فكريا أو محتوى ينطلق من بعد معرفي.

في مقابل ذلك بات طبيعيا أن يصبح مشاهير «السوشل ميديا» رموزا ثقافية بين جيل الألفية (Y) وجيل ما بعد الألفية (Z)^(٤١). وحتما فما يقدمه أولئك من محتوى لا يرقى لأن يكون ثقافيا وفق معايير الثقافة المتفق عليها، كما أنهم قد أسسوا لثقافة «الدقيقة ونصف» التي عمقها المسوقون حال إنتاجهم الإعلاني، ثم جرى تنفيذ ذلك على التسويق الإعلامي، وصولا إلى التسويق الثقافي، بحيث توجب على المثقف الحقيقي إن أراد أن يكون حاضرا في المشهد الجديد، أن يختزل فكرته الثقافية بحيث لا تتجاوز الدقيقة ونصف. وهو أمر يصعب تحقيقه بأي حال من الأحوال، كما يصعب على المثقف الواعي أن يجاري في حركته السقوط القائم، فيجد نفسه معزولا باختيابه أو بغير ذلك، وتأخذ

الساحة في تكريس الفراغ الذي يسمى ثقافة، ليشكل المشهد في نهاية المطاف من ثقافة فارغة من أي قيمة ومحتوى.

وتزامن مع كل ذلك موت الوسائط التقليدية للثقافة والمعرفة والتي مثلها من قبل البرامج الثقافية في الإذاعة والتلفزيون، والكتابات الجادة في الصفحات والملاحق الثقافية، علاوة على ما شاركت به الأندية الأدبية الثقافية بوجه عام، وما قدمته فروع الجمعية السعودية للثقافة والفنون. وبالرغم من ظهور منصات «البودكاست» الثقافية، إلا أنها لم تؤثر في طبيعة المشهد القائم، ولم تغير من سلوكه على صعيد المضمون وقيمة المعرفة، بل لعل بعضها قد ساهم في تسطيح الأفكار وإفراغ المضامين من أي قيمة معنوية.

في جانب آخر فقد أدى هذا الضمور في المعرفة، والجهل بقيمة الموروث ورموزه بين جيل الألفية وما بعد الألفية، إلى بروز ظاهرة الإعجاب بالمنجز الغربي، والاهتمام بدعوة نماذج منهم بوصفهم روادا وصانعي معرفة، على أن الأسوأ أن يتجه المشهد للاهتمام بالكم وليس الكيف، ويكون أسيرا لمؤشرات تسويقية لا تتوافق مع الحس والبرهان الثقافي.

تحقيب جديد لعالم جديد:

وواقع الحال فقد يكون ذلك نتيجة حتمية لما نعيشه من تسارع مذهل لا نكاد نلمسه ونرصده متغيراته، وكأننا في حلبة سباق لا نعرف لها بداية وليس لها نهاية منظورة. ذلك أن وتيرة المجتمع وحتى منتصف القرن الماضي قد سارت بشيء من التقليدية المفهومة التي تتسق مع طبيعة التطور التاريخي للقرن الواحد، والذي عادة ما تتقلص فيه المتغيرات بين الأجيال المتعاقبة، فلا نكاد نلاحظ فارقا بين الجيل الأول والثالث في كل مئة عام، بل ربما تمر عدة قرون ولا يحدث أي تغيير في البنية المكانية، والتنظيم الحياتي، والتقسيم الأسري، والنسق الفكري، ضمن عديد من المجتمعات.

ولعل ذلك كان ملحوظا إلى منتصف القرن العشرين الميلادي تقريبا، الذي تمثل الأجيال المولودة فيه آخر الأجيال ارتباطا بما سبق من قرون طويلة في عمر الزمن، وهي أول الأجيال تأسيسا لعصر جديد بملامح جديدة في عمر الزمن المستقبلي، الذي صار يقاس الجيل فيه بالعقود، ثم بالأشهر، وقد يقاس مستقبلا بالأسابيع

في هذا السياق وحتى منتصف القرن العشرين كانت الحياة في كل المدن شبه ثابتة، ولا سيما المدن المسورة منها، المحصورة في مساحة مكانية محددة، حيث يصعب أن يحدث تغيير في بنيتها العمرانية وكذلك المجتمعية لسنوات طوال، حتى ليمر القرن ثم الذي يليه ولا يكاد يحدث أي تغيير في بنية الحارة عمرانيا ومجتمعيا، وبالتالي فحجم التغيير الحضاري يكون طفيفا أيضا، ومتغيرا بمقدار حالة

التواصل مع الآخر الذي كان يمشي برتابة بحكم وسائل الاتصال القديمة المتاحة في وقته^(٤٢).

هذا نموذج واحد لطبيعة التسارع الذي صرنا نعيشه اليوم، ناهيك عن حالة التسارع المذهل في التقنية وما يتعلق بها، والتي أسست لثقافة التسطیح وتسليع الأشياء وفقا لمفهوم الكاتب الآن دونوفي كتابه نظام التفاهة^(٤٣). وحتما فقد كان لتلك الظاهرة أي التسطیح والتسليع أثارا مدمرة في العمق الثقافي، حيث أفرزت هشاشة في البنية الفكرية، نتج عنها ترهلا في حالة الوعي بالأفكار وبالأشياء أيضا.

ظاهرة الإلحاد:

أشير إلى أن هذه الحالة من التسطیح والتي تزامن معها بروز ظاهرة ادعاء المعرفة، قد واكبها بروز ظاهري التشكيك في الدين، التي أنتجت فئة اللا أدريين المشتقة من كلمة (لا أدري)، وهم الذين توقفوا عن الإيمان بكثير من الأحكام الشرعية انطلاقا من عدم درايتهم اليقينية بصحتها وفق منهجهم العقلي، وصولا إلى أولئك الذين حسموا أمرهم وأعلنوا إلحادهم المطلق بالدين وأحكامه، والملاحظ أن هؤلاء باتوا يمثلون ظاهرة بين فئات شبابية تطرح نفسها جزءا من الحالة الثقافية المعاصرة.

والسؤال: كيف أصبحت ظاهرة اللا أدريين وصولا إلى الملحدین حاضرة في ثنايا المشهد المعاصر، سواء بما يتم تداوله عبر شبكات التواصل المجتمعي في غرف الدردشة التي حظيت باهتمام بالغ من الشباب، أو من خلال كتابة العديد من الأفكار المنطلقة من هذا البعد على منصة (X)؟

من المهم ابتداءً أن ندرك بأن للتدين في السعودية بُعد خاص وسماته المتعلقة به، نظرا لمركزية الدولة في إطارها الديني باحتضانها للحرمين الشريفين، ولكثير من المواقع الجغرافية المرتبط بالسيرة النبوية ومعالم الدين الإسلامي. وهو ما فرض قيام حالة من التشابك بين الديني والسياسي، فكان التأثير واضحاً في كثير من القرارات الصادرة عنهما، والتي راعت الانعتاق من مختلف الأفكار الفقهية المتشددة نحو الاعتدال التدريجي، واستطاع السياسي خلال عهد الملك عبد العزيز والملك سعود والملك فيصل أن يُحدث حالة من التوازن والتعايش، بين مختلف المؤسسات والتيارات الدينية في المملكة، واستمر ذلك حتى مطلع عقد الثمانينات من القرن الماضي، حيث سمح السياسي بتمكين التوجه الديني في مختلف أنشطة الحياة، ووافق على بعض رغباته، اقتضاءً للمصلحة في حينه، حيث تغير وجه العالم في ذلك العقد بوقوع ثلاثة أحداث كبيرة وهي

- على الصعيد المحلي، قيام «الجماعة السلفية المحتسبة» بقيادة جهيمان العتيبي باحتلال الحرم المكي الشريف، وإعلان ظهور الإمام المهدي المنتظر، وأرجع سبب قيامه بذلك إلى حالة الفساد التي استشرت مظاهرها في المملكة العربية السعودية والعالم الإسلامي، والتي تظاهراتت في أعلى صورها بالسماح بعرض الموسيقى في التلفزيون الرسمي^(٤٤).

• على الصعيد الإقليمي، تفجر الثورة الإسلامية في إيران وانتهاء عهد الملكية، وبروز الجمهورية الإسلامية بقيادة الإمام روح الله الموسوي (الخميني)، الذي قدم خطابا متشددا ضد الغرب بعامه، والولايات المتحدة الأمريكية بخاصة، التي وصفها باسم «الشیطان الأكبر»، وبالتالي فقد وجه خطابا حادا ضد كل حلفائها بوجه عام، كما أخذت الجمهورية الجديدة في إيران في نشر أفكارها الثورية، وبدأت عديد من الجامعات الشيعية الإمامية في المملكة العربية السعودية في تبني ذلك الخطاب، مما مثل خطرا يجب مواجهته على مختلف الأصعدة^(٤٥).

• على الصعيد الدولي، قيام الاتحاد السوفيتي بغزو أفغانستان، وفي ذلك خرق للجغرافيا الدولية، حيث بات الاتحاد السوفيتي بتجاوزه لممر خيبر قريبا من المياه الدافئة في المحيط الهندي والخليج العربي؛ كما صار التيار الشيوعي أكثر حضورا في المنطقة ولاسيما من بعد تواجده في أفريقيا واليمن الديمقراطي جنوب المملكة العربية السعودية، وهو ما مثل خطرا كبيرا، ويحتاج لمواجهته تكثيف الخطاب الديني ضد الفكر الشيوعي، ودعم جهات القتال في أفغانستان لوقف الزحف السوفيتي الشيوعي^(٤٦).

• هذه الأحداث الجسام قد تزامنت في وقت واحد، مما ساهم في تمكين السياسي السعودي للتوجه الديني ليتمكن من مواجهة تأثير الخطابات الفكرية والثقافية الناتجة عن تداعيات تلك الأحداث على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي.

وكان ذلك إيذانا بولادة تيار إسلاموي حركي أطلق عليه اصطلاحا اسم «الصحوة»، والتي استفادت من حالة التمكين فتغلغت في ثنايا المجتمع، وبدأت في نشر سمات التشدد الفقهي من جديد، والوقوف ضد أي تيار فكري أو ثقافي يخرج عن مسارها، ومواجهته بتفسيرها للنص الديني، وإطلاق أحكام فقهية متطرفة ضده، كما جرت الإشارة له مع المنتمين لثقافة الحداثة^(٤٧).

على أنها لم تتوقف عند ذلك، بل أخذ التيار الصحوي في إطلاق عديد من الألقاب الغربية على كل من يخالفهم من المثقفين التنويريين، كلفظة العلمانيين التي أطلقت عليهم لمجرد تأييدهم لحق المرأة في قيادة السيارة^(٤٨)، ثم لفظة الليبراليين لمطالبتهم بفسح عدد من الكتب الفكرية والروايات الأدبية التي تم منعها وفق رؤية متشددة، علاوة على تأييدهم لمنع التمييز الجندري حال زيارة معرض الكتاب، حيث فرض الصحويون يوما للنساء وآخر للرجال، وهكذا.

على أن تشددهم لم يتوقف عند ذلك، بل عمدوا إلى تحريم تداول كثير من الصور الاجتماعية باعتبارها مخالفة للدين، ثم تبين عكس ذلك، بل تبين للناس ممارستهم على الصعيد الشخصي لها، كالابتعاث الذي تعرض لهجمة شرسة من قبل عديد من مشايخ الصحوة، باعتبار خطورة الحياة

بين الكفار والخشية من تقليدهم، ثم تبين للشباب التحاق أبناء أولئك بمختلف البعثات الطلابية في الخارج؛ إلى غير ذلك من الأحكام الفقهية التي كان يتم طرحها بين الناس باعتبارها ديننا وليس رأي واجتهادا يمكن مخالفته، ثم ظهر الأمر بعكس ما تم الترويج له، فكانت النتيجة أن تزعزعت الثقة بالدين في نفوس عديد من الشباب، وظهرت خطابات شابة تدعو إلى التحرر من قيد الانتماء الديني والانطلاق في فضاء الأنتماء، وهي البوادر الأولى لبروز ظاهرة الإلحاد في ثنايا المجتمع الشبابي^(٤٩)، لاسيما على الجانب الأنثوي، اللاتي شعرن بتعرضهن للاضطهاد باسم الدين، فكان أن تبنت النسوية كثيرا من المفاهيم الداعية إلى تحقيق المساواة الكاملة مع الرجل، بل وتجاوزت إلى التعدي على حقوقه في بعض الأحيان^(٥٠). وهكذا بتنا نشهد تحولا يمضي صوب الأنثوية بدلا من الذكورية.

تلك كانت الصورة والأسباب الداعية إلى ظهور حالة الشك السلبي المؤدي للإلحاد الديني، على أن ذلك قد كان أيضا موضع انتباه كبير من السياسي مرة أخرى، وكان في هذه المرة أن عمل على إعادة المجتمع إلى سياقه الطبيعي الذي كان عليه قد ظهر «الصحة» واستفادتها من التمكين الذي أعطي لها بصورة سلبية، وهو ما صرح به ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان في عديد من أحاديثه المتلفزة، فكانت دعوته صريحة للعودة إلى خطاب الاعتدال ونبذ التطرف، كما كان واضحا في إعلانه عن توجه المملكة العربية السعودية الديني القائم على التنوع والقبول بالأخر، والانتماء لحقل الإسلام بمجمله الحاوي كل المذاهب والأفكار وليس المحصور في مذهب ورأي واحد، بل كان أكثر وضوحا حين طرح فكرة مهمة في تنقية الموروث الحديثي وبالتالي الفقهي من كثير من الأحكام الفقهية الخاطئة، حين نص على أن السعودية ستتوجه إلى الاستناد على الأحاديث المتواترة في مجال الأحكام والعقوبات التشريعية، وما نص عليه الله في كتابه المحكم^(٥١)

كل ذلك وغيره قد بات ظاهرا في ثنايا المجتمع السعودي الحالي، وهو ما يساهم في إعادة رسم المسار الفكري لمن يهتم بالبحث عن الحقيقة المجردة، وهي فرصة للشباب المثقف الحقيقي في أن يشكلوا سماتهم الفكرية بمنأى عن أي ضغط ديني قائم على فكر أحادي، أيا كان نوعه وسمته.

يمكن القول بأن المملكة العربية السعودية لم تعش ظروفًا مواتية في بناء منظومتها وسياساتها الثقافية كما هو الحال في الوقت الراهن، حيث تم تمكين وزارة الثقافة بشكل واسع على مختلف الإطارات التنظيمية والتشريعية، من واقع إزالة العوائق الإدارية والأيدولوجية التي كانت تمثل تحدياً يمنع من بلوغ الغاية الثقافية الكبرى التي تهدف إليها المملكة بوصفها دولة مركزية على الصعيد العربي والإسلامي والعالمي.

وبالتالي فقد بات ممكناً التقدم في تحقيق مختلف محاور العمل الرئيسية لوزارة الثقافة والتي تنص على: قيادة القطاع الثقافي السعودي وبناء الأطر التنظيمية والتشريعية المناسبة والفعالة، وتطوير البيئة الثقافية، ودعم الجهات الفاعلة لتكون أكثر قدرة على المشاركة الفعالة في تنمية القطاع الثقافي، والعمل على تعزيز التبادل الثقافي العالمي، وتقدير المواهب ورعايتها، وحفظ التراث والثقافة السعودية

وواقع الحال فقد عملت الهيئات المتخصصة التي استحدثتها وزارة الثقافة جهدها في تحقيق الرؤية المرسومة كلا فيما يخصها، لكن موضوعاً رئيساً ظل غير واضح الملامح في إطار السياسة الثقافية المعتمدة، وأقصد به البعد الفكري الذي يعد بمثابة المحرك للنشاط المعرفي والثقافي بوجه خاص، وبالتالي:

فما هي ملامح الهوية المعرفية والثقافية التي يُراد بناءها ضمن إطار المشهد الثقافي السعودي المعاصر؟ وهل تساهم الهيئات المتخصصة في صناعة هوية معرفية مشتركة ترسم ملامح الحراك الثقافي القائم؟

في جانب آخر يمكن رؤية البعد الوطني في صناعة وتشكيل الهوية السعودية المعاصرة، وهو بُعد مهمٌ ويجب أن يتشكل لاسيما بعد غياب فترة كبيرة من الزمن، حيث اختطفت الهوية الوطنية من قبل تيار الصحوة لتذوب في الهوية الأممية الإسلامية، باعتبار أن المملكة بأكملها تمثل بلاد الحرمين الشريفين، وبالتالي يجب أن تتسق في سياقها المعرفي والثقافي مع هوية الحرمين الشريفين، وفي ذلك إجحاف كبير، لاسيما حين اقترن الأمر بفرض توجه ديني فقهي واحد على المجموع، سمته التشدد وتضييق أبواب المباح بحجة «سد الذرائع»، وهو ما أوقع المجتمع في حالة من الضيق، وكان سبباً بعد ذلك في التأسيس لحالة الاضطراب التي أنتجت ظاهرة اللا أدريين والملحدين كما وضح سابقاً.

في جانب آخر فقد تم طمس الهوية التاريخية للثقافة العربية المسلمة من قبل الحداثيين، الذين لم يُلقوا بالا لإنتاج علماء المدرسة العقلية، وتوافق ذلك الطمس مع رغبة التيار الصحوي الذين حكموا على علماء المدرسة العقلية بأنهم زنادقة مبتدعة؛ وهكذا تم طمس جانب كبير من الثقافة التاريخية

العربية جراء التبديع، وبفعل حالة الاستلاب التي عاشها المثقف الحدائي صوب الثقافة الغربية التي سيطرت على مكامن عقله، وهو ما أعاق بناء جسر عبورنا وفق سياقنا المعرفي وسمتنا الذهني نحو الحداثة وما بعد الحداثة.

وعليه فالمرجو أن تهتم وزارة الثقافة السعودية والوزارات والهيئات العربية المماثلة ببناء سياستها الثقافية وفق أطر معرفية أصيلة تنتمي إلى واقعها الثقافي التاريخي، فتقوم بتشجيع إعادة نسج العلاقة مع ما سطره علماء المدرسة العقلية وما أنتجوه من موروث فلسفي مهم، وقراءة وتأمل وتحليل ما تحويه تلك الكتب من فلسفة ورؤى وأفكار، بهدف هضمها والوعي بمكوناتها، وهذه أول خطوة في صناعة النهضة العربية، التي ينتج عنها بناء عالم أنوار عربي يكون قادرا على فهم ما طرحه علماء الأنوار في الغرب، أولئك الذين استلهموا أفكارهم من وحي ما طرحه الفلاسفة العرب، وحتما فكل ذلك سينتج عنه بناء منظومة حداثة وطنية عربية بالدرجة الرئيسة، تنطلق من بعدها الوطني والقومي والإنساني، وتلك هي مرتكزات أي نهضة ثقافية سامية.

كاتب وباحث، مدير البرنامج الثقافي والإعلامي بمركز الخليج للأبحاث.

(١) كتب العديد من الباحثين في موضوع التحولات، وعمل بعض منهم على سبر أغواره، ومن هؤلاء الناقد محمد الحرزفي مقالة طويلة بعنوان «المشهد الثقافي السعودي: تحولات ولحظات مفصلية»، مجلة الفيصل، ١ يناير ٢٠٢٠ م. www.gamlasiafla.com/sptth/p?79371

(٢) لمزيد من التفاصيل يمكن النظر في: فازولا، حسام وآخرون، السياسات الثقافية (النشأة التطور العقلانية)، (القاهرة: مؤسسة حرية الفكر والتعبير، د.ت) www.3ql.tib.com/sptth كذلك: بوكروخ، مخلوف، السياسات الثقافية العربية أي دور؟، في مجلة أفكار وأفاق، عدد ١، مارس ٢٠١١ م. www.pjsa.com/tsirec/zd/ne/wodAnwocitr/elc/1/1/122/7387

(٣) يمكن الرجوع إلى موقع وزارة الثقافة www.vog.com/as/sptth

36

(٤) الرميحي، محمد، واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي، في الثقافة والمتحف في الوطن العربي، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢ م)، ٨٦٢.

(٥) الجابري، محمد عابد، المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية: حريات استكشافية، في المثقف العربي: همومه وعطاؤه، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢ م)، ٨٣، ٩٣.

(٦) أنظر: حزام، فارس، منتدى طوى الليبرالي يجد صدى واسعا بين النخبة في السعودية، جريدة الشرق الأوسط، عدد ٨٣١٩، ٠١ شوال ١٤٢٤ هـ / ٥ ديسمبر ٢٠٠٢ م. www.taswaa.com/evihcra/sptth www.sliated.com/psa/elcitra?7216&oneussi=8319

(٧) الصرامي، ناصر، الحجب هو الحجب، جريدة الرياض، ٤١ مارس ٢٠٠٢ م. www.hdayirla.com/5922

(٨) أنظر حديث عادل الحوشان وهو شريك مؤسس في منتدى طوى الشهير في وقته: صالح الزيد، المنتديات الإلكترونية السعودية: نهاية مرحلة أسست للمناقشات الفكرية، جريدة الشرق الأوسط، ٥٢ أغسطس ٢٠٢٠ م / ٧ محرم ١٤٤١ هـ. www.3ql.tib.com/sptth/b6nMIL

(٩) يمكن النظر في مقالة مكتوبة حول ذلك بشكل مفصل ومنشورة في الشبكة الليبرالية الحرة،

.٣٦٥=t?php.daerhtwohs/bv/gro.larbil//:sptth

(١٠) لمعرفة أكثر حول نشأة المنتديات والمجالس والمقاهي الثقافية الحضورية في المملكة بوجه عام، ومدينة جدة بوجه خاص، يمكن الرجوع إلى: الفضيل، زيد، موسوعة جدة (الثقافة)، (جدة: دار موسوعة جدة للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) ٣٦١ - ٧٢٢.

(١١) كانت الضحوية تقام في حياة الشيخ حمد الجاسر في يوم الخميس، واستمرت كذلك حتى جرى تغيير يوم الإجازة الأسبوعية، لتتحول إلى يوم السبت، ولا تزال على حالها حتى كتابة هذا. ولطبيعة ما كان يجري بها يمكن النظر إلى مقال الدكتور عبد الله مناع حول تجربته في ضحوية الجاسر، ومقاله الذي طرح فيه مواضيع متنوعة ومنها أزمة الرقابة، جريد البلاد، عدد ٣٤٢٢. بتاريخ ٣١ صفر ١٤٤١هـ، DCuRKL٣/yl.tib//:sptth؛ وللنظر أكثر في طبيعة الندوات المقدمة يمكن مراجع موقع /moc.ressajladamah.www//:ptth

(١٢) الشبيلي، عبد الرحمن، د.راشد المبارك: بلاط العلماء والأدباء، جريدة الشرق الأوسط، في ٩١ فبراير ٥١٠٢م، D٤COC٨٤/yl.tib//:sptth.

(١٣) أنظر تقرير: محمد سعيد طيب: مثقف صاحب الثلوثية، موقع الجزيرة الإلكترونية، في ٥١ مارس ٦١٠٢م، oV٩Gdt٣/yl.tib//:sptth

(١٤) لمزيد من الاطلاع على دور المنتدين في إثراء الحالة المعرفية والمشاركة في إحداث التحول بما تم طرحه من عناوين ذات بعد إشكالي، واستضافتهما لشخصيات تنويرية متنوعة، وشخصيات دينية مختلفة، يمكن النظر فيما يتعلق بالملتقى الثقافي للكاتب نجيب الخنيزي إلى التالي: aynianhtila//:ptth. ١٢٩١٢=di_cot?psa.tluafed/scot/moc /moc.ahtaluht.www//:sptth وفيما يتعلق بمنتهى الثلاثاء الثقافي ونشاطه المتنوع يمكن النظر في: /moc.ahtaluht.www//:sptth

(١٥) للاطلاع على نشاطات المركز وفعالياته المتنوعة يمكن النظر إلى: /gro.dncak.www//:sptth

(١٦) يمكن الرجوع إلى: ٦NwOg٥٤/yl.tib//:sptth

(١٧) ينسب كتاب (وجاء دور المجوس) لمحمد سرور زين العابدين، وإن كان قد تم إصداره باسم مستعار وهو عبد الله الغريب، ويمثل أحد أهم الكتب التي وجدت رواجاً بين الناس في سياقه الذي كتب من أجله، ويمكن الاطلاع على الكتاب على الرابط التالي: PMUZFP٣/yl.tib//:sptth

١٨) أنظر: خبر توقيع الاتفاقية في وكالة الأنباء السعودية [sptth](http://sptth.as.vog.aps.www/434967c.089/) (١٨) أنظر: خبر توقيع الاتفاقية في وكالة الأنباء السعودية [434967c.089/as.vog.aps.www//:sptth](http://sptth.as.vog.aps.www/434967c.089/)

١٩) (الفضيل، زيد، جريدة الرياض، ٥١ ذي القعدة ١٤٣٤هـ/ ٣ أغسطس ٢٠١٢م، عدد ٣٣٢٧١، [sptth](http://sptth.moc.hdayirla.www/896770.1/) (١٩) (الفضيل، زيد، جريدة الرياض، ٥١ ذي القعدة ١٤٣٤هـ/ ٣ أغسطس ٢٠١٢م، عدد ٣٣٢٧١، [896770.1/moc.hdayirla.www//:sptth](http://sptth.moc.hdayirla.www/896770.1/)

٢٠) (الفضيل، زيد، الثقافة في التراث المكي: الشخصية المكية أنموذجا، محاضرة أقيمت في الموسم السادس لمنتدى الثلاثاء الثقافي في ٧١ يونيو ٢٠٠٢م. [sptth](http://sptth.moc.ahtaluht.www/37/elcitra/) (٢٠) (الفضيل، زيد، الثقافة في التراث المكي: الشخصية المكية أنموذجا، محاضرة أقيمت في الموسم السادس لمنتدى الثلاثاء الثقافي في ٧١ يونيو ٢٠٠٢م. [37/elcitra/moc.ahtaluht.www//:sptth](http://sptth.moc.ahtaluht.www/37/elcitra/) ولقراءة الورقة يمكن تحميلها من الموقع التالي: [jvmVZE3/yl.tib//:sptth](http://sptth.jvmVZE3/yl.tib/)

٢١) (لمزيد من التفاصيل أنظر: الفضيل، زيد، موسوعة جدة (الثقافة)، (جدة: دار موسوعة جدة للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م) ٧٩٢ - ٩٦٤.

٢٢) أنظر: موقع وزارة الثقافة السعودية [sptth](http://sptth.q8jvrR3/yl.tib/) (٢٢) أنظر: موقع وزارة الثقافة السعودية [q8jvrR3/yl.tib//:sptth](http://sptth.q8jvrR3/yl.tib/)

٢٣) يمكن النظر في [sptth](http://sptth.gro.ocsenu.ra/yadytisrevidlarutluc/snoitaromemmoc/) (٢٣) يمكن النظر في [yadytisrevidlarutluc/snoitaromemmoc/gro.ocsenu.ra//:sptth](http://sptth.gro.ocsenu.ra/yadytisrevidlarutluc/snoitaromemmoc/)

٢٤) (نشر ذلك في وكالة الأنباء السعودية (واس) [sptth](http://sptth.as.vog.aps.www/4080481w/) (٢٤) (نشر ذلك في وكالة الأنباء السعودية (واس) [4080481w/as.vog.aps.www//:sptth](http://sptth.as.vog.aps.www/4080481w/))

٢٥) يمكن النظر فيما أورده الأستاذ الدكتور سعد الصويان في موقعه الإلكتروني [sptth](http://sptth.moc.daasnayawos/) (٢٥) يمكن النظر فيما أورده الأستاذ الدكتور سعد الصويان في موقعه الإلكتروني [//:sptth](http://sptth.moc.daasnayawos/)

٢٦) مع نهاية حقبة السبعينات من القرن ٢٠م برزت تيار ديني سلفي متشدد آمن ببعض المفاهيم الدينية بمنظور خاطئ، وأخذ يدعو له بقوة مقدا إياه على أنه الحق المبين، فكان له تأثيره السلبي على المجتمع بوجه عام، وعلى واقع المرأة بشكل أخص، وصار مصطلح «الصحوة» رمزا دالا على = هوية التغيير الحادث في إطار المجتمع، دون النظر إلى صوابه من عدمه، وبالتالي فالإشارة إلى مفهوم «الصحوة» هنا نابع من استخدام مصطلح وليس تقرير حالة. وقد كتب في آليات عملها وطبيعة نشاطها العديد من المختصين، ومنهم خالد العضاض الذي أفرد لآلية عمل الصحوة سلسلة من المقالات بذات العنوان تم نشرها في جريدة الوطن السعودية، أنظر: [sptth](http://sptth.moc.natawla.www/1683311/elcitra/as) (٢٦) مع نهاية حقبة السبعينات من القرن ٢٠م برزت تيار ديني سلفي متشدد آمن ببعض المفاهيم الدينية بمنظور خاطئ، وأخذ يدعو له بقوة مقدا إياه على أنه الحق المبين، فكان له تأثيره السلبي على المجتمع بوجه عام، وعلى واقع المرأة بشكل أخص، وصار مصطلح «الصحوة» رمزا دالا على = هوية التغيير الحادث في إطار المجتمع، دون النظر إلى صوابه من عدمه، وبالتالي فالإشارة إلى مفهوم «الصحوة» هنا نابع من استخدام مصطلح وليس تقرير حالة. وقد كتب في آليات عملها وطبيعة نشاطها العديد من المختصين، ومنهم خالد العضاض الذي أفرد لآلية عمل الصحوة سلسلة من المقالات بذات العنوان تم نشرها في جريدة الوطن السعودية، أنظر: [1683311/elcitra/as](http://sptth.moc.natawla.www/1683311/elcitra/as)

٢٧) (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: الخضر، عبد العزيز، السعودية سيرة دولة ومجتمع (قراءة في تجربة ثلاث قرن من التحولات الفكرية والسياسية والتنموية) (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢م) ٥٠٣ - ٤٤٣.

(٢٨) الجابر، مريم، تفاصيل استراتيجية الثقافة السعودية للقطاع غير الربحي، العربية نت، ٨ مارس ٢٠٢١م. nPNt٣s٣/yl.tib//:sptth

(٢٩) الشرق الأوسط، ٨٢ ديسمبر ٢٠٢١م v٤nEe٦٤/yl.tib//:sptth

(٣٠) مركز (إثراء) ra//moc.arhti.www//:sptth

(٣١) مؤسسة (مسك) [/as.gro.ksim//:sptth](http://as.gro.ksim//:sptth)

(٣٢) مؤسسة (فن جميل) [/yrotsih/tuoba/ra/gro.leemajtra//:sptth](http://yrotsih/tuoba/ra/gro.leemajtra//:sptth)

(٣٣) عبد الجبار، عبد الله، التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، مراجعة وتحرير: محمد سعيد طيب وعبد الله فراج الشريف، (الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ) ٧ أجزاء.

(٣٤) يمكن قراءة تعليق صحافي شامل عن موضوعات الكتاب في: الخزمري، صالح، جريدة الجزيرة، عدد ١٢٢٣١، في ٩/٢١/٢٠٠٢م. mth.١uc/٩٠.٢١٨٠.٠٢/٨٠.٠٢/moc.harizaj-la.www//:ptth

(٣٥) كلمة المؤلفين، الاثنيية، _cot&٤٥٦٦١=di_cot?psa.tluafed/scot/moc.aynianhtila//:ptth، ٤٥٦٦١;٠.٥٦٦١;٢;٠=htap&١=-rehtorb

(٣٦) يمكن تتبع ذلك في ثنايا كتاب التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، مرجع سابق.

(٣٧) يمكن النظر إلى ما سجله الخضر في كتابه السعودية سيرة دولة ومجتمع، مرجع سابق، ٠٨٣ - ٦٣٤، حيث أفرد لذلك فصلا كاملا بعنوان: معركة الصحوة والحدثة؛ كما كتب عبد الله بن بخيت مقالا في جريدة الرياض بتاريخ الأحد ٦٢ ذو الحجة ١٤٣٤هـ/ ٧١ سبتمبر ٢٠١٠م حول كتاب الحدثة في ميزان الإسلام مستشهدا ببعض ما ورد في مقدمته، أنظر: ٦٩٤٣٢٦١/moc.hdayirla.www//:sptth ويمكن الرجوع إلى كتاب الحدثة في ميزان الإسلام على الرابط التالي: a٣Tlir٣/yl.tib//:sptth

(٣٨) الرفاعي، خالد، غازي القصيبي ومشايخ الصحوة، سلسلة مقالات، جريدة الجزيرة، الثقافية، عدد ٠٧٣، في ٩١/٤/٢٠١٠م .٤٢taadaf/٢١.٢٤٠٩١/٢١.٠٢/erutluc/moc.harizaj-la.www//:sptth ويمكن النظر إلى كتاب «حتى لا تكون فتنة» والذي جمع كل الجدل الدائرين الدكتور غازي ومشايخ الصحوة في وقته على الرابط التالي: fdp.haanteF_C/fdp/moc.sdikflug.www//:ptth

(٣٩) الفضيل، زيد، التراث وجسر العبور للمستقبل، جريدة مكة، ٢ أكتوبر ٢٠٢١م. tib//:sptth

(٤٠) طرح المفكر الإيراني عبد الكريم سروش في كتابه «السياسة والتدين» فكرة بناء جسر عبور للانتقال بالحالة الثقافية من عهدا التقليدي إلى منظورها الحدائي، وأشار إلى أهمية أن يواكب جسر العبور تطور السياق الفكري المنبعث من داخل تاريخ المجتمعات، وهو ما صنعه المثقف الغربي، مشيراً إلى أن الحدائفة في بلدان العالم الثالث تعد «بضاعة مستوردة، ولم تنبع من باطن تاريخ هذه المجتمعات، وليست من منتوجاتهم ومصنوعاتهم»، وأوضح بأن الغربيين قد صنعوا جسر عبورهم إلى الحدائفة ثم ما بعد الحدائفة، والسؤال: هل صنع المثقف العربي جسر عبوره مستنداً على تاريخ سياقه المعرفي لبلوغ حدائته أولاً، ثم للوصول إلى عهد ما بعد الحدائفة؟ أنظر: سروش، عبد الكريم، السياسة والتدين: دقائق نظرية ومآزق عملية، ترجمة: أحمد القبانجي، (بيروت: دار الانتشار العربي، ١٩٠٠٢م) ٨١ - ٣٢.

(٤١) يمكن مراجعة دراسة بحثية قامت بها الدكتورة لولوة بودلامة لمختبر الإعلام وقضايا المجتمع بمختبر الحوار الثقافي الخليجي التابع لمركز الخليج للأبحاث، وتم نشرها في بودكاست «تفاصيل» بمركز الخليج للأبحاث على الرابط التالي: <http://sptth://www.ebutuoy.moc/hctaw/v?AofRvqVTpWs=v?hctaw/moc.ebutuoy.www//:sptth> كما يمكن مراجعة تقرير وزارة الثقافة لعام ٢٢٠٢م المنشور بعنوان «مزامنة جيل ما بعد الألفية: دراسة تحليلية لتفضيلات جيل ما بعد الألفية للفعاليات الثقافية» <http://sptth://as.vog.com/snoitacilbup/as.vog.com//:sptth>

(٤٢) الفضيل، زيد، التاريخ قوة دافعة للأمم، في: مجلة آراء، عدد ٣٧١، ٥٢ أبريل ٢٢٠٢م

<http://sptth://as.aara.php.xedni/noitpo?php.xedni/as.aara//:sptth>

٢٧١=dimetl&٧٤٥٤=ditac&٧١-٠٥-٢١

(٤٣) يمكن الاطلاع على كتاب نظام التفاهة على الرابط: <http://sptth://moc.skaelkoob/www/selif/moc.skaelkoob.www//:sptth> كما يمكن الاطلاع على: الفضيل، زيد، الدعاة الجدد ونظام التفاهة، في صحيفة مكة، ٨٢ أغسطس ١٢٠٢م. <http://sptth://yl.tib/YGYbpZ3/yl.tib//:sptth>

(٤٥) لمزيد من التفصيل أنظر: هيغهامر، توماس وستيفان لأكروا، حتى لا يعود جهيمان: حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة، ترجمة وتحقيق: حمد العيسى، ط ٢ (بيروت: منتدى المعارف، ٣١٠٢م) ٥٣ - ٥٥.

(٤٦) استظهر موقع الجزيرة الإلكتروني في صفحته السياسية رأي عدد من الشخصيات السياسية الإيرانية حول تأثير فكرة تصدير الثورة على إيران، وأبانت وجهة نظرهم. أنظر موضوع: «بعد ٢٤ عاما

على انتصارها، ٦ أسئلة ترصد حصاد الثورة الإيرانية». حيث أوضح الباحث في الشأن السياسي مهدي شكيبائي بأنه «سرعان ما جوبه (تصدير الثورة) بمعارضة بعض الأطراف في الخارج». أنظر: mp6Y2s3/yl.tib//:sptth

(٤٧) لتفاصيل أكثر حول طبيعة الغزو السوفيتي لأفغانستان وتداعيات ذلك محليا وإقليميا ودوليا يمكن النظر في تقرير بعنوان: الغزو السوفيتي لأفغانستان، موقع الجزيرة الإخباري، في ٩/١١/٢٠١٠م، WJVCIt3/yl.tib//:sptth؛ كما يمكن قراءة تقرير مطول تم نشره على مدار خمسة أجزاء في جريدة الرياض السعودية بعنوان «حروب الشبح» وهو عبارة عن تلخيص لكتاب «حروب الشبح» للصحافي الأمريكي ستيف كول والذي شرح فيه التاريخ السري للسي أي إيه في أفغانستان منذ ابتداء الغزو السوفياتي، .3557/moc.hdayirla.www//:sptth.

(٤٨) لمزيد من التفصيل أنظر: لاكروا، ستيفان، زمن الصحوة: الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، ط ٢ (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٠م)؛ كذلك يمكن النظر إلى: فولي، شون، السعودية المتغيرة (الفن والثقافة والمجتمع في المملكة)، ترجمة: نهى العويضي، ط ١ (الرياض: دار أدب للنشر والتوزيع، ٢٠١١هـ) ٢٦.

(٤٩) يمكن الرجوع إلى تجربة بعض السيدات اللاتي قمن بقيادة السيارة في أول فعل من نوعه علي في العاصمة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وكيف تعرضن لتشويه السمعة والسب والقذف من قبل تيار الصحوة، إلى غير ذلك من الإجراءات الإدارية الجزائية بسبب ضغطهم المتزايد، وكل ذلك في كتاب: المانع، عائشة وحصه آل الشيخ، السادس من نوفمبر: المرأة وقيادة السيارة ١٩٩١م، (بيروت: دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠١٠م) ٧٩١ - ٦٢.

(٥٠) أظهرت دراسة أعدها معهد غالوب الدولي (noitaicossA lanoitaretnl pullaG) الذي يتخذ من زوريخ مقرا له أن نسبة الإلحاد في المملكة العربية السعودية تتراوح بين ٥ و ٩ بالمئة من مجموع عدد سكان المملكة، ولا يوجد أي مصدر سعودي أو أجنبي أثبت أو يؤكد هذه الدراسة. على أن ذلك يصعب قياسه في مجتمع محافظ أيضا، كما يحتاج المصطلح إلى تحرير علمي دقيق، وبيان القصد من مصطلح ودلالة الإلحاد بشكل منهجي. أنظر: txbavR3/yl.tib//:sptth

(٥١) الجبني، ملاك، التحولات الثقافية في المملكة العربية السعودية وأسئلة الشك الأنثوي، مركز باحثات. [/2924ra/elcitra/moc.tahtehab//:sptth](http://2924ra/elcitra/moc.tahtehab//:sptth)

(٥٢) جاء ذلك تفصيلا في لقاء سمو الأمير محمد بن سلمان في قناة روتانا خليجية مع الإعلامي عبد الله المديفر في ٨٢/٤٠/٢٠١٢م. أنظر حيثيات اللقاء على الرابط التالي: ebutuoy.www//:sptth.